جسر العالمين

- جسر العالمين / رواية
- زهير أحمد البلاونة / من الأردن
- الطبعة الأولى : 2021
- حقوق الطبع والنشر محفوظة للكاتب
- (ردمك) ISBN 978-9923-00-132-5

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2021/10/6144)

813.03
البلاونة، زهير احمد
جسر العالمين / زهير احمد البلاونة .- عمان: المؤلف، 2021
( ) ص
ز.ا.: 2021/10/6144
الواصفات : /الروايات العربية/الأدب العربي //العصر الحديث
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه عن رأي دائرة المكتبة الوطنية

ولا يعبر هذا المصنف أو أي جهة حكومية أخرى.

- تدقيق لغوي : خالد جلال , بسمة البلاونة

زهير أحمد البلاونة
(الشؤبوب)

جسر العالمين

رواية

اهداء :

لروح أبي السلام والتحية ...

اهداء :

لزوجتي ورفيقة الدرب

أهديك النثر والقصيدة

****

هاتِ يديك نرسم لحنًا

نركض بين يومٍ وغدِ

نرسم قمرًا يحمل غصنًا

غني لي بصوت خافت

وانشدي اسمي بأعلى صوت

اريدك قدرًا وسرًا يروى

أنتِ ملاكي وطيب حياتي

أحبك قبل حياتي وبعد مماتي

****

هاتِ يديك ننقش صخرًا

نحفر جدول يغدو نهرًا

نفعل أمرًا كان محال

نجمع جيشًا نعلن حربًا

نكتب نصًا.. ننثر شعرًا

ينبت سهلًا.. ينشر فرحًا

يعانق روحك نحو السماء

ومضة :

الوقت جدارية تمتد من الأزل إلى الأزل ، وأظن أن المسافة بين الأزلين مجاز ، وبين أروقة الزمن خُطت قصص وحكايا ، وعلى جدار الزمن قد رسمت حكايتي .

وما الحقيقة سوى فيض من جنون والوقع مسح من الزمن على جبين الخيال ، ولعل الخيال هو أصل التكوين ، هو الروح التي تسكن المرايا ، وكل هذه الخيوط تتشابك لتصنع لنا حياة من وهم ، والمُفزع أن تقف على الحد الفاصل بين الحقيقة والخيال حائرًا ، فكلاهما وهم وربما لن تعلم أي وهم هو أصل الآخر .

ولدت من رحم الحقيقة إن جاز لي أن اطلق عليها الحقيقة ولكن هذا هو المعتاد ،وولدت مرة أخرى بكف توأمها وهو الخيال وعله أصلها ، ولن تُشكل المسميات فرقا ، فالمهم ما كان وحدث وسُطِر بكتب الأزمان والعوالم المتوارية عن عقولنا التي تفتقر إلى المعرفة .

وإن لكل شيء بداية ومنتهى ، أصلٌ وتكوين ، مهما اختلف الزمان والمكان ، وكيفما كان شكل الجسد ومكنونه وحتى إن اختلفت عوالم فإن الروح واحدة ثابتة ، هي الأصل والمنتهى .

خلقنا من العدم إلى هباء الوجود، لسنا سوى أطياف اللحظة، نتشكل مع ظلال أرواحنا المسافرة، يعلو نجمنا ولا يلبث أن يندثر، سواء من هجران أرواحنا أم انقطاع الضوء الذي يشكل ظلالنا الفانية.

ستارة منسدلة، تتطاير أحيانا لتكشف عورة هذا الحائط المقيت ، صوت صرير الباب الذي أحفظه عن ظهر قلب، خطوات مقتربة ، أحب هذا التسلية ، بأن أعرف الشخص القادم من تناسق خطواته، صوتها، الفترة الفاصلة بين الخطوة والأخرى، الأدوات المصاحبة للخطوات تساعدني لحل الأحجية المتكررة مرارا وتكرارًا ، ثم أقاطع نفسي متهكمًا، أو ربما مشفقًا على نفسي، هذا هو مآلي، ولسوء الحظ أيضًا لن أستطيع أن أعرف صاحب الخطوات لأنه خرج دون أن أراه .

لا أعلم الوقت تحديدا ولكنه كان نهارًا ، فأشعة الشمس قد امتدت إلى غرفتي ، كم أتمنى أن أنفث دخان سيجارتي على هذه الأشعة لأراها تتمدد وتتصاعد ، مرّ زمنٌ طويل على آخر سيجارة لي ، أصوات هذه الأجهزة تقتلني ، تلتهم عقلي وروحي ، هي عذاب مستمر ومضجر قاتل ، أنتظر أن يدخل أي صوت يكسر رتابة هذا الصمت المتداخل بضجيج هذه الأجهزة .

غابت أشعة الشمس عن غرفتي، وأشرقت شمسي من

الباب، مثقلة موجعة، يصاحبها بطلي ومخلصي منذ كنت صغيرًا ، وها هو ذا يعود بطلي من جديد – هو والدي – وأنا أميزهم لا بصوت اقدامهم، فهم ليسوا من ضمن أحجيتي ، فرائحتهم تسابقهم إلي، أو ربما روحهم قد تلهفت إلي فسبقت أجسادهم .

أزاحوا الستارة ، وقفوا أمامي برهة من الزمن ، يسترقون النظر إلي كحال كل يوم ، جلسوا أمامي ودموع أمي تبلل خديها، وأبي متحشرج بصمته المطبق ، وها هو صوت أمي يخاطبني: سنتجاوز هذه المحنة بني ، ستعود إلينا مجددا، لن تتركنا بهذا الألم طويلا ، ستعود لا محالة ، ونظرت إلى والدي الذي أمسك يدها وشد عليها مطمئنًا لها ، ماسحًا دموعها بكفّه .

أنا على هذه الحال منذ سنة تقريبًا ، لا أستطيع الحركة أو الكلام ، أو أن أقوم بعمل، حتى أنني لا أستطيع أن أغلق عيني أو أبتسم ، لا شيء أبدًا، أنا بنظر العام والطب طفرة من الموت، وليس هناك أي سبب لبقائي حيًا أو حتى لموتي ، مع أن موتي هو الأقرب ، لا أعلم سبب هذا الشيء، أفقت صباحًا ، أردت النهوض لم أقوَعلى ذلك ، أردت الصراخ ليس لي صوت ، لم أستطع فعل أي شيء حين جاءت أمي توقظني ومع كل محاولاتها بالنهاية ظنت أني ميت، ولكنها تحسست نبضي وكنت لا أزال حيًا ، ومن يومها إلى اليوم وأنا على هذه الحال .

بالبداية كانت غرفتي ممتلئة دومًا بالأطباء أو بالزوار ، حالتي غريبة جدًا ، الأطباء ليس لديهم إجابة لهذه الحالة ، كنت المكان الذي يقدره الجميع، علموا النعمة التي بحوزتهم الآن ،

ينظرون إلي بشفقة متعبة ، في بادىء الأمر كانت هذه النظرات توجعني جدًا ولكن مع الوقت زال ألم هذه النظرات وعهدتها وقبلت بها ، لا أستطيع أن أحصي أو أقارن أي ألم أشد ، جسدي الذي انفصل عن روحي أم خوفي وقلقي من كل شيء أفكر فيه ، أتساءل لماذا لم أسلب التفكير أيضا لربما كان الأمر أسهل ولكن لأنقض هذه الفكرة وأقول الحمدلله مستنجدًا بخالقي أن يخلصني من هذا العذاب .

تعود بنا فطرتنا إلى خالقنا في مثل هذه الحالات ، فنتوسل ونتضرع ونعلم أن خلاصنا بيده، نبدأ التفكير بما بعد الموت فنطلب الصفح والغفران ، ثم يتسع الأمل داخلنا فنطمع بالعودة إلى سابق عهدنا – أن أعود كما كنت – رباه ما أجملها من عودة! لا يتصور عقلي ذلك ، إن كتب لي ذلك ربما أموت من فرط فرحتي.

يعلم والداي أنه لم يعد أحد يزورني سوى زوجتي بين وقت وآخر ، هما لا يلومان أحدا على ذلك ، فإن زيارتي وعدمها سواء ، ولكن بالنسبة لهم يعدّ هذا أمرا آخرَ ، مشاعر الأبوين لا تشبه أي مشاعر ، لقد تجلى مفهوم الجمال بهذه المشاعر، خلقها الله متفردة لا يشوبها شيء ، هي على السجية الأولى للخلق .

أذكر أن آخر زيارة لصديقي وشريكي بالعمل «منذر» كانت منذ شهرين تقريبا ، كان يحدّث أبي أن العمل سيئ جدًا ، وأنه يأمل أن يغلق الشركة دون أن يكون هناك خسائر ، وأنه ربما يدفع من جيبه الخاص لإتمام ذلك ، معللًا أن عمل شركتنا بالطباعة الدعائية قد توقف تقريبا مع سيطرة الإعلانات الإلكترونية ومواقع التواصل

وما إلى ذلك ، تبًا لك ولهذا العمر الذي قضيناه سويًا ، لم نخبر والدي أننا ومنذ زمن قد غيرنا مسار عملنا إلى هذه الوسائل ، وأننا على خير ما يرام، بل نحن من أفضل الشركات بهذا المجال .

كان يريد أن ينطلي هذا الأمر على والدي فقد كان مقنعًا ، وغير ذلك أن والدي غير مهتم لشيء سواي ،عدا أنه صاحب مال وفير ، لطالما كان صديقي منذر صاحب حيلة ودهاء ، مثل أولئك الأشخاص الذين ليس بالضرورة أن يكونوا أذكياء جدا ليقوموا بذلك، ولكن يجمعون ملكتهم وأفكارهم ويزجون بها داخل مكرهم ليتفردوا بذلك ، كم أبغضك الآن ، صحيح أنني لا أفكر بالمال ولا بالعمل أو أي شيء من ذلك القبيل ، ولكن ذلك آلمني كثيرًا ، ولكن أبي لا ينطلي عليه هذا الهراء ، سمعته مرة يقول لأمي: أتظنين أن ما فعلته مع منذر من أجل المال ، بالتأكيد لا ، ولكني لم ولن أسمح لأحد بالمساس بهيبة ابني وأشيائه ، كما حافظت على ألعاب طفولته ووضعتها بخزانة خاصة إلى اليوم، سأحافظ على إرثه مهما كان .

أتساءل عن الصداقة التي جمعتنا ، كيف يكون ذلك ،درسنا بالجامعة سويًا ، قضينا أعوامًا وأعواما ، كان صديقي الوحيد تقريبًا ، لقد كان أكثر من أخي ، أتعجب من تصرفه هذا وبهذا الوقت تحديدًا ، في الوقت الذي يظهر به معدن الأصدقاء سقط بقوة ،بالحقيقة إن هذا الخسران مؤلم مع أني أحاول أن أقنع نفسي بعكس ذلك ، بالتأكيد لن أجد له مبررًا لما فعل ، ولكني أجد لنفسي مخرجا بأنه لم يكن يومًا صديقًا حقيقيًا ، فمن يفعل ذلك لا يستحق أن يكون بقائمة الخسران أصلًا .

وهذه الشركة التي يحاول الحصول عليها ، أنا من قام بكل شيء ، حتى المال الذي بدأت به كان مني بالكامل ، وأنا من قمت بإدارتها ، جعلته شريكي من باب الصداقة ، أردت أن أصنع له معروفًا ، أن أجعل حياته أسهل ، خصوصًا أن وضعه المادي متواضع قليلًا ، يبدو أن هذا جزائي ، لقد سقطت يا صديقي بكل مقاييس الأخلاق .

هل كان يتملقني ويمثل صداقتي كل تلك السنين ، أي تمثيل هذا ؟ وأي تقمص للدور ؟ لا أستطيع استيعاب ذلك ، وربما أخرج من مرضي هذا وأقف أمامك مرة أخرى لأرى خزيك يقطر من وجهك .

زوجتي قد زارتني قبل يومين ، ستحتاج إلى عدة أيام لتعود لزيارتي ، لا أعلم لماذا تأتي فزيارتها لا تتعدى بضع دقائق ، تجلس أمامي تمسك بهاتفها بعض الوقت ثم تنظر إلي لتغادر دون أن تلقي التحية حتى ، هي متأكدة تماما بأني ميت ممدد على السرير .

لو كانت هي المريضة ما كنت فارقتها مطلقًا ، ما كنت لأجعلها تشعر بالوحدة ، مهما طال الزمن ، كنت سأبقى عند حسن الظن بي ، أجد لها مبررات ولكن هذا التقصير واضح ،ربما قد فقدت الأمل بشفائي ، رغم كل ذلك هي حبيبتي وستبقى كذلك ، هي أيضًا مسكينة ، لم يطل زواجنا وفرحتنا ثم جاء مرضي ليقلب فرحها حزنًا وألمًا ، إن كُتب لي وشُفيت سأعوضها عن ألمها هذا

، سيكون ذلك بإذن الله ،سينتهي كل هذا ، وسأنجب أولادًا كُثر ، تلك أمنية والديّ ، يريدان الكثير من الأطفال ، يريدان تعويض أني طفلهم الوحيد .

متى يأتي اليوم الذي أشفى فيه ، لقد طال الأمر وكل شيء على حاله ، لم أفقد الأمل ولكني تعبت كثيرًا ، أحاول أن أزيد عزيمتي قوة لأتجاوز هذه المحنة .

كثيرة هي النعم بحياتنا ، ولكننا لا نعلم أهميتها إلا عند فقدانها ، لقد مررت بدرس قاسٍ فقد فقدت الكثير ، أن تجد نفسك عاجزًا منكسرًا تمامًا لا تقوى على شيء من بعد قوتك وصحتك درس قاس، لقد أحسست بتفاهة مشاكلي بالماضي ، إنها لا تساوي شيئا، ما كان يجب أن أعيرها انتباهًا أصلًا ، العمل والحب والدراسة و وو ... كل ذلك لا شيء ، أقسم أنني إن عدت إلى حياتي مشافًى سأقبل بكل حياتي بعين الرضا .

ستتغير نظرتك للحياة أثناء مرضك ولكن مقدار الألم الذي ينتابك مع قدر هذا العجز الذي يتملكك ، نظرة الشفقة بعيون الآخرين إليك ، كل ذلك وأكثر سيتم نسيانه ، ستنسى تلك اللحظات عند زوال المرض ، ربما من الجيد أن ننسى الأسى والألم ولكن يجب أن لا ننسى إحساسنا بالنعم التي فقدناها أثناء المرض والبلاء .

ولعل النسيان من ضمن النعم التي لا نسلط عليها الضوء ، فلولا النسيان لتراكمت الآلام إلى حد لا نستطيع احتماله ،وإن

اجتمعت ذكريات الألم والسعادة معًا ، فأظن أن لحظات الألم هي من ستفوق .

رغم رغبتنا اللاإرادية بالسعادة ، إلا أن شعور الألم يغلب على كل شيء ، هو السيد حين يحضر لا وجود للجميع ، والألم بكل أصنافه المعنوية والمادية صعب ، ولا أستطيع أن أغلّب إحداها على الآخر.

إن حربيّ الآن نارٌ تحرقني ، نار وقودها الذكريات وما يطفئها نهر يفيض بالذكريات أيضًا.

كم تضحكني وعودنا البالية التي لم تخضع لامتحان حقيقي ، جميعها سراب وهراء . أذكر كلماتنا أنا وزوجتي سمر بأن شيئا لن يفرقنا ، أن أنفاسنا واحدة وأن أحدنا للآخر، هو الحياة وبدونه لا حياة للآخر ، لا ألومها بل أشفق عليها إذا كان بالإمكان أن أشفق على أحد .

غابت شمسكم، وذهبت شمسي برفقة أبي إلى المنزل ، وها أنا الآن أناظر سقف غرفتي بعدما عدلوا موضعي ، تلك هي حدود عالمي المترامية الأطراف ، من السقف إلى الجدار إلى جزء من أجزاء الغرفة تذهب إليه عيني دون أن أستطيع التحكم باتجاه نظري. ولكني أنتظر الوقت أن يمر حتى ينتصف الليل ، ستبدأ تسليتي الكبرى الآن ، يُفتح الباب فتدخل هذه المجنونة ، لا أعلم كيف تكون طبيبة ، أظنها غريبة الأطوار إلى حد كبير، ولكنني أنتظرها بفارغ الصبر ، تلقي نظرة على جميع الأجهزة الموصولة بي وعلى التقرير

المعلق على سريري وتطرح عليّ السلام ، تحادثني كما لو كنت شخصا سليمًا معافًى.

- كيف حالك اليوم يا خالد ؟ إن أمورك جيدة جدًا ، ليس هناك ما يدعو للقلق ، كن مطمئنًا .

لا أستطيع وصف مشاعري ، يعود الأمل بداخلي ، ينتابني سيل من الفرح ، يستوطن الحلم جوارحي وفؤادي، ولكن لا يدوم ذلك كثيرًا ، فعندما أتذكر أن هذا الحال من سنة أعود إلى استكانتي مجددًا.

تجلس على الكرسي وتبدأ بالحديث ، إن لها قدرة كبيرة على خلق الحوارات ، تخلق نصًا من عدم ، أظنها يجب أن تكون كاتبة لا طبيبة ، كل يوم يكون مختلفا عن الآخر برفقتها ، تارة تحدثني عن كتابٍ جميل قرأته وأعجبها أو عن فيلم شاهدته ، وتارة أخرى تحدثني عن السياسة وأحوال الناس ، أو أي شيء آخر، فقد يطول الوقت لسردها .

شربت كأسًا من الماء وعادت للجلوس ، أتعلم قد دخل الروضة ، اليوم هو أول أيامه ، كان يطير فرحًا وهو يحمل حقيبته المدرسية وأنا أكثر منه بكثير ، سيكبر ويغدو أسدًا ليكون درعا لأمه ، كم أحتاج إلى ذلك اليوم الذي أضع حملي عليه، فأنا منهكة ومتعبة جدًا ، قد ورثت هذا التعب عن أمي ، أكاد أجزم أن هذه الأمور بالوراثة لا محالة .

لقد مات أبي وأنا صغيرة، وظلت أمي وحيدة تحارب لأجلي

، وأنا الآن أحارب لأجلنا أنا وأمي وابني ، كم أحب الشعور بأن لا شيء مسؤول مني ، أريد أن أكون مسؤولية أحد ، وهذا قدر ابني بالمستقبل ، لقد هجرني زوجي منذ وقت طويل ، ليس هناك أسباب لذلك ، بكل ببساطة غادرنا دون أي كلمة أو تبرير .

كانت تتحدث إلي وكأنها تلقي قصيدة على خشبة المسرح ، هي شقراء شعرها ذهبي وخدها مورد قد زُيّن بنمش زادها جمالًا إلى جمالها ، عفوية المشاعر مع أن لها وقارًا وشخصية ثابتة ، إنها شخصية هوليودية بالنسبة إلي ، أنها بطلة مسرح غرفتي كل يوم .

لا أستطيع أن أحدد المدة التي قضتها بغرفتي ولكنها تهم بالخروج الآن ، أومأت لي بيدها قائلة : إلى اللقاء أراك غدًا لا تذهب إلى أي مكان .

إن الوقت بصحبتها ممتعٌ جدا ، كما أنني أنام بسهولة بعد حديثها الشيق ، ما أجمل اليوم بالنسبة لي ،هو الوقت الذي أكون فيه سواسية مع الجميع ، الوقت الذي أعود فيه إلى حياتي السابقة.

على غير العادة جاءت زوجتي لزيارتي هذا اليوم، وقفت إلى جانبي تحدق بعيني ، رأيت دموعها تسبق كلماتها ، كلما حاولت التكلم زاد بكاؤها ، كنت أتفطر على حالها ، كانت متعبة إلى أبعد الحدود ، أول ما نطقت به أحبك ، أقسم أني أحبك ، ولكن ... لا أستطيع أن أستمر ، قد تقول أني تخليت عنك بأصعب أوقاتك ، خنت حبنا ورحلت ، ولكني لا أستطيع أن أنتظر العدم ، لا وجود

للمعجزات ، قل عني ما تريد ، ولكن أرجوك أن تسامحني ، سأظل أحبك ولكني أريد أن أكمل حياتي ، وضعت خاتم زواجنا بإصبعي الصغير ورحلت .

أي قسوة قد تملكتك لتفعلي كل هذا ، أي أقدار قد تكاثفت ضدي ، أين الحب الذي جمعنا أيتها الجاحدة ، أين عهودنا ووعودنا ؟ خذلتني وأنا بأمس الحاجة لكل يد تسندني ، كيف لي أن أصدق هذه الدموع ، لطالما كنت مخدوعًا ، كم أنا ساذجٌ باختياراتي ، نعم أنا المسؤول عن الأشخاص بحياتي وهذا ما جنيته منكم ، صديق منافق متسلق، وحبيبة تخلت عني بأول اختبارٍ لنا بالحياة .

علّها الطيبة وصدق المشاعر التي تربيت عليها ، فهذا العالم ليس لأمثالنا يا أبي ، يبدو أن الأخلاق السليمة طفرة بهذه الحياة المليئة بالسوء بكل ما فيها .

كما كانت تقول أمي دائمًا ، افعل الصواب واترك الحساب لله ، وأنا لم أفعل غير الصواب يا أمي ، وبالتأكيد فإن الحساب عند الله ، ولكني لن أنسى هذا لهم .

بهذا الوضع لا أعلم حقًا أي شعور قد انتابني ولكني أظنه التبلد ، كنت أقول لها بأني سامحتك ، ربما لما كنت أمر فيه، فقد بات لا شيء يعنيني أو يؤثر بي ولأكون أكثر صدقًا بهذه اللحظة بالذات أردت الحياة أكثر من الموت .

كم هو مؤلم أن تبكي دون دموع أو صوت ، أن تختنق وحيدًا بأعماقك ، أن تقتل مرارًا ، باختصار أن تكون الصدى دون أن يخرج

لك صوت.

رحلت وأخذت معها ما تبَقى من رفات مشاعري ، بالأصل لم أعد أملك سوى المشاعر وها هي تُسلب مني شيئا فشيئًا.

رباه أي ذنب اقترفت لأستحق كل هذا ؟! أنجدني يا من أنجيت يونس من بطن الحوت ، ردني إلى جسدي وحياتي أو اقبض روحي وأرحني ، لا اعتراض على حكمك ولكني انتهيت ، لم أعد أحتمل أكثر، أرجوك ساعدني .

كان هذا اليوم غريبًا لم أكن أنتظر المساء كعادتي ، ولا أنتظر النوم لأرتاح ولكني كنت أنتظر موتًا أو حياة ، لا شي آخر .

كم هو موحش ومرهق ومؤلم هذا اليوم حتى أنه لا يريد أن ينتهي ، يمر ببطء وحرقة تملؤها الذكريات المقترنة بالحاضر لترسم صورا من وجع وكره وإشفاق على الذات ، وها قد جاء موعدها ولم تاتِ كنت بأمس الحاجة إلى قدومها ولكنها لم تاتِ ، سيمضي بي هذا الليل طويلا وقد جافاني النوم.

لا المطر يغسل قلبي ولا رائحة الأرض تغريني ، كأن روحي انطفأت ، ليس لي فجر ولا مساء ، وضوء النهار يحرق نفسي ، انعدمت السبل وأحبطت الروح ، لقد تحولت إلى فتات لا يُجمع ، بت وحيدًا مغتربًا ، يحاصرني الزمن وأحاصر نفسي ، معذب منبوذ يائس ، لا أنتظر شيء وما من شيء ينتظرني سوى نهاية زماني .

كل ما أريده الآن هو حضن أمي ليأويني من كل هذا الشرور والألم الذي استوطن عقلي ، أريد قبلة أبي على جبيني ويده تربت

على كتفي تطمئنني بأن هذا الكابوس سينتهي ، إنه بجانبي لآخر نفس فينا.

جاء الصباح وكنت انتظر قدوم والديّ بفارغ الصبر ، بلهفة طفل ضل طريقه أنتظرهم ، بفرحة الملهوف الذي وجد الأمان أنتظرهم ، ويا لسعادة قلبي عندما سمعت صوت همس أبي يقترب بتلك اللحظة ، نسيت كل همومي ، قبلني على جبيني وأمسك بكتفي وقال لي: ستنهض من هنا يا خالد، أنت أقوى من هذه النكسة لا تخف ولا تفقد الأمل ، أما أمي فقد أمسكت يدي وقبلتها وسحبتها ووضعتها على وجهها.

من الصعب أن تجد من يحبك بقدر والديك دون زيف أو رياء ولا حتى شائبة صغيرة تعكر هذا الحب ، عندما تشتد المصائب وتحكم الأغلال لن تجد سوى الصدق حولك ، ستنكشف كل المشاعر الزائفة والمصطنعة ، أخبرني أبي أنه استطاع أن يأخذ حقي كاملًا من شريكي ومن كان صديقي – منذر– فقد وصل إلى تسوية بمبلغ لا باس به وهو أفضل ما بالإمكان ، وواساني بعد قرار زوجتي بالانفصال ، أما أمي فقد نال تعبي منها، فقد كانت أشد ألما مني ، لقد كانت كلماتها قليلة، ودموعها كثيرة ، قد كنت فرحتها يوما ما عندما انجبتني بعد انتظار دام سبعة أعوام ، والآن أنا أصبحت ألمها وغصة بقلبها ، كانا بمثابة مخدر ألم لي ، لقد انطفأت نيراني شيئا فشيئا، وحل المساء وجاءت معه نور ، هي النور الذي يضيء مسائي المظلم وقلبي المتهالك ، تحدثني بتفاصيل حياتها ، عن صغائر أسرارها وأعظمها ، عن مشاعرها وآلامها ، عن نظرياتها

بالحياة والحب وحتى الأدب والسياسة ، لقد أصبحت صندوق أسرارها ، ربما هي متأكدة أنني لن أنهض من هذا الفراش مطلقا ، وسأحمل كل ما سمعت منها إلى قبري . بت أعرف شكل بيتها ، تفاصيل يومها ولون ستائر غرفتها ، بدأت أحن إلى أن أشرب قهوتي على شرفة منزلها ، يحدث أن يكون الحنين إلى مستقبل لم يرتبط بماضٍ، ولكنه نسج على وقع خيال على هامش .

ومضت الأيام متشابهة، لا أعلم عددها تحديدا ولكن ما يقارب ثلاثين يوما ، حتى جاء أبي وقد كان وحده دون والدتي – على غير العادة – كانت برفقته امرأة شكلها غريب بعض الشيء تحمل مسبحة طويله بيدها وعلى رقبتها الكثير من التمائم ، أظنها عرافة ، وقفوا بجانبي تنظر إلي وتحدث أبي بأنها رأت الكثير من هذه الحالات وأن بإمكانها حل المشكلة ، لقد كنت أقول لنفسي قد جن جنون والدي إذ وصل إلى هذه الحالة ، لم يؤمن أبي يوما بالخرافات والشعوذة ولكن ربما بعد هذا الوقت فقد الأمل بالواقع وبدأ يبحث عن المعجزات .

بدأت بقراءة بعض الطلاسم بصوت مشوش، لم أفهم شيئا مما قالته، ولكن لم يطل الأمر حتى توقفت وقالت: هذا شيء لم يسبق لي أن قابلته ، لا أستطيع أن أكمل. قاطعها أبي: ماذا تقصدين بكلامك؟ لقد قلت أنك رأيت مثل هذه الحالات، وأنه بإمكانك شفاؤه ، ثم قال بصوت خافت: أستغفر الله العظيم.

ردت قائلة : أنها وجدت ما يفوق قدرتها ولكن أختها سراب ربما يكون باستطاعتها فعل شيء.

اقترب أبي مني وهمس في أذني « لن أترك طريقا إلا وأسلكه إلى أن تعود إلينا، ابقَ قويًا «.

كم أشفقت عليه وعلى نفسي، كيف لنا أن نغير قناعاتنا وفقًا لما نمر به ، لو قال أحد ما لأبي أنه يريد من عراف أن يشفي مريضًا لضحك وقهقه على ذلك ، وها هو الآن يركض وراء أوهام العرافين.

ما هي إلا ساعات حتى عاد أبي برفقة المرأة التي جاءت معه صباحا ومعها امرأة أخرى ، لا بدَّ أنها سراب. وضعت يدها على رأسي ولا أعلم أن كنت أتوهم، أم فعلًا أن شيئًا مختلفًا قد حدث، لقد احسست بيدها على جبهتي ، هذه أول مره منذ مرضي أحس بأي شيء ملموس ، وبدأت أشعر بأني أفقد الوعي والإدراك ، بعد ذلك كل ما أذكره هو خيالات من عدم ، دخان، وركام وطرق وأشياء غير مترابطة ، أفقت من هذه الحالة عندما رفعت يدها عن جبيني ، حتى أنه جاءني أمل ، فحاولت النهوض ولكن سرعان ما اكتشفت أن شيئا لم يتغير .

صمتت قليلا ثم قالت : لقد أشعل بخوره بالعالم الموازي عالم الأحلام ، إن علاجه صعب، ولكن ليس مستحيلًا ، سوف

يكون العلاج شاقًا وخطرًا عليه ، ولكن المحاولة خير من حالته هذه ، كانت حازمة وواثقة من كلامها وأنا أيضا كنت واثقًا بكلامها ، ربما لأن هذا الأمل الذي ظهر لي هو الوحيد خلال هذه الفترة .

وأجمل ما بالأمل أنه وليدٌ متجدد ، هو سلاح فطرة النفس لن يخذلك أبدًا ، دائمًا ستجده وإن لم تجده حتما هو من يجد الطريق إلى نفسك ، تراه يحملك من البؤس والقهر إلى كبرياء المحاولة والقتال ، وإن لم يستطع سيدفع بأطياف السعادة التي تنتظرك بآخر الطريق ، لن يعدم الوسيلة لإنقاذك.

لقد رُسِمت النفس البشرية على الأمل ، هو من سجاياها التي لم تتحور أو تتبدل ، واليوم ظهر لي الأمل من قلب الجنون والمحال ولكنه ظهر ، ربما لن أجد ضالتي بهذا الطريق ، ولكن بمجرد أن تجد الأمل الذي يحرك روحك ستجد لذة المستقبل ، هو لم يأتِ فلي الحق بأن أرسم طريقًا أو صورة لنهاية هذه الطريق ، فمع كل إشراقة شمس وبزوغ قمر هناك أمل بانفراج .

قال لها أبي وضحي أكثر بالتفصيل ، أرجوك ساعديني ، إن نهض ابني على يدك ستنالين كل ما تريدين ، اجلسي وحدثيني بالتفصيل.

لا أنكر أنني بدأت أتحمس لهذا الجنون ، ولكن شيئا ما داخلي كان يشدني ويقول لي تمهل ، غالبًا هذا كذب ودجل فقط، ولكني لم أكن لأخسر شيئا ، كنت مصغيًا لحديثها، بل لأصوات أنفاسها .

قالت بصوت يملؤه الثقة والسكون : إن ولدك يا سيدي قد أشعل بخوره بالعالم الموازي لعالمنا ، أعلم أنك لا تفهم معنى ذلك إلى الآن ، دعني أوضح لك ، هناك عالمٌ آخر يكاد يكون مشابهًا لعالمنا ، هو كنظرك إلى المرآة ، هو موجود ونحن نعيش فيه ولكن دون أن ندرك لأننا منفصلان ، ولكن أحيانا يحدث تداخل بين العالمين ، أحيانا نحمل بأحلامنا شيئا من ذاك العالم ، لن أطيل عليك الشرح كثيرا.

المهم أن هذا الشاب ولسبب ما قد نودي بالعالم الآخر ، وقد يكون بإشعال بخور خاص نحن نستعمله هنا ويستعمل هناك أيضا ، وهذا ما حدث ، لن أستطيع بالتأكيد أن أعلم سبب ذلك ، فهنالك أشياء لا نعلم لها سببا أو تفسيرا ، هي تحدث فقط وعلينا تقبلها .

ولكي يعود إلى وضعه السابق ويُشفى من مرضه سندخله إلى ذلك العالم، وسأخبره بما يفعل، عندها سينتهي كل شيء، ولكن علي أن أُحذرك قبل أن نفعل أي شيء ، إن هذا الموضوع خطير عليه ، فهذا خوض بالمجهول وكل من حاول أن يبحر بهذا الموضوع لم يسلم ، ولكن ابنك مختلف فهو مجبر على ذلك ، ربما ينتهي الموضوع بكل بساطة ، وربما تحدث أمور نجهلها ، وبكل الأحوال سأكون إلى جانبكم إلى أن ننهي هذا الأمر ، تذكر أن ليس هناك ضمانات لشيء ، سواء خيرا كانت أم شرا ، إنه المجهول يا سيدي .

صمت أبي ولم يرد بشيء ، سمعت صوت إشعال سيجارته خلال هذا السكون الذي حلّ ، لا أعلم فعلا ما سيكون قراره ، ولكني

كنت أرجو من داخلي أن يقبل ، لنحاول علّها تكون محقة ، أو علّي أنتهي من كل هذا سواء بحياة أو موت .

لم يطل صمته كثيرًا ، وقال بصوت ثابت وحازم « لنفعل ذلك « ، ولكن أرجوكِ افعلي ما بوسعك ، اجعلي هذا الأمر يمر على خير .

– إذن اتفقنا ... ولكن لن نستطيع أن ننجز هذا الأمر داخل المستشفى ، يجب أن نخرجه ، هل تستطيع فعل ذلك ؟

– نعم سأتدبر الأمر.

– جيد إذن، غدا نأتي ونذهب به إلى البيت .

كنت أريد أن أصرخ لماذا غدًا ؟ اليوم لنفعل ذلك اليوم ، كنت أحترق شوقًا للخلاص أو الهلاك ، لحظات حتى قطع حديثهم دخول نور إلى الغرفة ، وكأنها توليفة قدر من العيار الرفيع ، استغل أبي دخولها وسألها : لو سمحتِ دكتورة ، نريد أن نخرجه غدًا إلى البيت ، ربما رؤيته للبيت يغير نفسيته ويتحسن ولو شيئا قليلًا ، فما هو الإجراء المطلوب لذلك ؟

نظرت إليهم وقد اشتعل فضولها عندما رأت العرافة ، ثم قالت سوف أستشير المشرف على حالته ، ولكن إن سمحت لي – إن وافق الطبيب على ذلك– أريد أن أرافقه لأتابع حالته إلى أن يعود ، وبعدها أضافت الجملة السحرية التي ستضمن موافقة أبي ، سأتابع

حالته المرضية فقط، ولن أتدخل بأي أمر تنوون فعله ، لا أرى لا أسمع لا أتكلم .

نظر أبي باستغراب وقال: موافق ، سألحق بك بعد قليل لنتم الأمر سويًا .

لقد كنت مسرورًا جدًا بذلك ، إحساس من الأمان قد ألمّ بي ، لا أعلم لماذا خطر ببالي بعد أن ينجح الأمر سوف أقف أمام نور، وأقول لها: أن صندوق أسرارك يتحدث إليك الآن .

نهضت سراب بعد خروج نور وقالت : غدًا سنتم الأمر، ونتحدث بكل شيء عند خروجنا من هنا ، خرجوا جميعا ، وبقيت برفقة أحلام بغدٍ مختلف ، أرسم أشكالًا لهذه المغامرة ، وأجهز نفسي لأعود لحياتي السابقة ، ببعض الوقت، كان يتوجسني الخوف من هذا العالم الموازي الذي تحدثت عنه ، أحاول أن أتصور شكله ، كيف سأدخله؟ أي نوع من السحر هذا ؟ وكيف سأخرج من ذلك ؟ ثم أزيح عن كاهلي كل ذلك ، مهما يكن سأخوضه وأخرج من هذا الموت المطبق .

كنت أنتظر عودة نور بالمساء ، لأسمع حكاياها لأخر مرة ، أتمنى أن تكون الأخيرة ، علّ هذا ينتهي وتكون بداية من عدم ، ولكنها لم تأتِ ، خفت أن يكون هذا الأمر مؤشر سوء ، فكلما انتظرت شيئا لم يأتِ ، أواسي نفسي إنها ساعات قليلة ويطل علىّ الغد بالجديد ، إشراقة صباح وإشراقة حياة.

لـم أتوقـع النـوم بهـذه الليلـة ، ولكنـي نمـت جيـدًا ، أخذتنـي أحلامـي فـي نـوم عميـق ، أيقظتنـي أشـعة الشـمس التـي تطرق أبـواب يومـي الجديـد ، نـور قـد سـبقت الجميـع إلـيَّ هـذا الصبـاح ، لا أعلـم إن كان فضـولًا أم شـفقة ، أو علّهـا مـن النـوع الـذي يـزرع الخيـر فقـط ، علـى كل حـال ومهمـا كانـت الأسـباب ، مـا يهمنـي أنهـا بجانبـي .

لـم يطـل الوقـت حتـى جـاء والـدي ، أخرجونـي مـن المستشـفى متوجهيـن بـي إلـى البيـت ، هـذه اللحظـات لا تنسـى ، قـد لا ينجـح مـا نفعلـه ، وقـد أبقـى علـى هـذا الحـال ، أو تنتهـي حياتـي اليـوم ، ولكـن رؤيـة العالـم خـارج المستشـفى كان كافيًـا لـي هـذا اليـوم ، سـأعود إلـى البيـت مجددًا ، لـم يكـن هـذا تصـوري لعودتـي ، ولكـن هـا أنـا أعـود .

آثـار الارتبـاك كانـت واضحـة علـى أبـي ، هـو بحيـرةٍ مـن أمـره، رغـم أنـه أخـذ قـراره بالمجازفـة، ولكـن هـذه الحيـرة لـن تفارقـه ، هـذا أكيـد ، كـم أشـفق عليـه لـو حـدث مكـروه لـي سـوف يحمّـل نفسـه وزر ذلـك ، كـم أود النطـق الآن لأقـول لـه : بأنـي أنـا مـن يحمـل وزر المجازفـة ، وأن هـذا قـراري لا قـرارك ، كـم أنـا ممتـن لهـذه الفرصـة التـي منحـت لـي مـن العـدم ، لأعـود مـن العـدم مـن اللاشـيء .

هذه المرة المجازفة كبيرة ولا أعلم إن كان من الصواب أن أطلق عليها مجازفة ، فإن الأمر بحالتي هذه أظنه بعيدًا عن المجازفة فليس هناك ما أخشاه أو بالأحرى ليس هناك أسوء من حالتي هذه ،ربما هي مجازفة بالنسبة لأبي لحدٍ ما ، مع أني أجزم أنه نظر للموضوع كما نظرت إليه أنا ، بالتأكيد قال لنفسه : ماذا سيحدث أكثر من ذلك؟ وإن حدث أمر سيء لعله يكون أفضل من هذا الحال .

نحن بشكل عام نقسم بين أشخاص يحبون المجازفة ، يجدون بها لذة وتأتي هذه اللذة؛ الانتصار الذي هو جزء من هذه المجازفة ، وكما يأتي النصر فإن الخسارة واردة وهناك من يتقبلها لأنه اعتادها أو باستطاعته تحملها ، وهناك من يتقبلها لأنه أرغم على ذلك وبالتأكيد هذا أشد إيلامًا.

وقسم آخر لا يحب أن يجازف مطلقًا ، وهؤلاء تجدهم محبوسين داخل الاختيارات التي فرضت عليهم ، بالتأكيد لن يجدوا لذة الانتصار المتجدد ولكنهم يراهنون بصبرهم على النصر العام والكامل ، وفوق كل ذلك هم بعيدون عن الخسارة نوعًا ما .

والقسم الأخير هم الأنصاف ، ولعلهم الأشد بؤسًا بينهم ، فهم معرضون للخسارة بمجازفاتهم الخجولة والتي غالبًا ما تكون خاسرة ، وليس لهم نصر أكيد لأنهم خرجوا عن محددات الاختيارات المفروضة ، هم كحال كل الوسط لا الأرض منزلهم ولا السماء سكناهم .

عندما دخلنا المنزل أمي كانت تقف بعيدًا ، بالتأكيد هي تبكي بحرقة الآن ، لم تقترب ، فضلت أن تبقى على مسافة بعيدة وبعد وقت قصير خرجت من المنزل ، أما سراب فكانت تتمتم وتنظر حولها، وكأن ألف عين تراقبها ، قالت لأبي : يبدو أن هذا البيت يحمل الكثير من الأسرار خلف جدرانه ، لم يجبها بشيء ، بل نظر إليها باستغراب فقط ، نور كانت صامتة كحالي لم تنطق بكلمة ، وأظن أن الخوف بدأ يلف كل جوارحها .

هذه المرة قد جاء دوري وأظن أنه الآن قد جد الجد ، فقد وجهت سراب كلامها إلي هذه المرة ، جلست بمقربة مني :

– اسمع يا خالد يجب أن تركز الآن بما أقوله جيدًا ، لأن الأمر سيبدأ من عندي وبعدها كل شيء سيكون معلق بك ، إن مصيرك معلق بيدك .

– لا تخف وكن قويًا ، تستطيع أن تعود إلينا سالمًا معافًى ، عندما أشعل البخور الآن سوف تجد نفسك بعالم آخر، ولكن لن يختلف عليك أي شيء ، ستكون بنفس جسدك واسمك، وغالبًا بالكثير من تفاصيل حياتك ، لا ترتعب، ستستطيع أن تذكر كل شيء من هنا ، بمعنى أوضح: ستكون ذلك الشخص الذي يعيش هناك ومعك ذاكرتك من هذا العالم .

– سيتطلب الأمر بضع دقائق لتستقر هناك بسلامة ، لا أريدك أن تخاف أو تجزع ، تشجع يا بني ، بعد ذلك سيأتي دورك .

– ستذهب إلى سوق روح العطارة ، هل تعرفه ؟! هل يعرف طريقه يا أبا خالد ؟

– أبي : نعم يعرفه ، لقد ذهبنا إليه قبل ذلك أنا وخالد .

– سراب : جيد ، ستذهب إلى محل اسمه السرمد ، إذا لم تجده اسأل عن محل السرمدي، سيدلونك عليه إنه معروف جدًا ، ستطلب منه بخورا، اسمه جسر العالَمين ، ربما لن يقبل أن يبيعه لك ، أو سيقول لك أنه لا يعرفه ، يجب أن تقنعه لتحصل عليه ، قل له أن سرابا من بعثت بك عليه ، وليس بالضرورة أن يكون يعرفني هناك ولكنها ستكون محاولة ، المهم يجب أن تحصل على هذا البخور فهو خلاصك .

– عندما تحصل عليه ستذهب إلى مكان لا يصله ضوء الشمس إطلاقًا ، لك أن ترتجل بذلك أي مكان لا يصله ضوء الشمس وتشعل البخور، بعدها ببضع دقائق سينتهي كل شيء ، ستفيق هنا مشافًى معافًى.

– ولكن تذكر: لا تفعل شيئا يغير مجرى الأمور بتلك الحياة ، فنحن لا نعلم إن كان ذلك ينعكس هنا أم لا ؟ حاول أن تفعل الأمر بأسرع وأسهل طريقة وحسب .

– هذا كل شيء ، تذكر ما قلته جيدًا

– والآن سوف أعيد لك ما قلته مرة أخرى، وأعادت ما قالت بالضبط .

– سوف أشعل البخور الآن وندعو له بالنجاح.

– هنا تكلمت نور : هل فعلا سيحدث ذلك ، أي جنون هذا ؟!

– استوقفها أبي بحزم : دكتورة نور أظن أن بيننا اتفاق ، أرجوكِ لا أريد جدالًا ، بإمكانك المغادرة إن أردت.

– صمتت وأومأت برأسها موافقة على مضض .

– أنا كنت رفيقا للشك والخوف والأمل ، ليس لي شعور محدد ، ولكنني كنت حازما على المغامرة ، ومع كل الخوف الذي رافقني لم أتردد ولو للحظة واحدة ، كل ما شرحته لي سراب لم يرسم لي صورة واضحة عما سيحدث ، ورغم ذلك ورغم أن القرار أُتخذ من قبل أبي، ولكني كنت موافقًا بكل ما أوتيت من عزيمة ، كنت أصرخ أشعلي هذا البخور لأتلاشى من العدم إلى العدم ، أو أعود إلى الحياة مجددًا ، أظنها الشجاعة التي تأتي من انعدام الاختيارات .

أذكر نظراتهم إلي ، كانت أشبه بوداع ميت أو أشد قليلًا ، أذكر دموع نور التي زينت خدها دون صوت يجهش بالبكاء ، أذكر رباطة جأش أبي وهو يشدّ على يدي أن أفعلها وعد إلي ، نظرات سراب التي تقول افعلها لأثبت للكون أني لست مجرد عرافة، ولكني عالمة بأسراره وخباياه .

سمعت صوت الولاعة وهي تشعل البخور وقد امتزجت

بتمتمات سراب ، كنت أستطيع أن أشم رائحة بخورها الذي بدأ يتصاعد ، وتصاعدت معه أحلامي وآمالي وخوفي وشكي بلحظة الحقيقة .

لحظات رأيت بها هلوسات من نار وكتب وكواكب وأحجار ، غابات وأرض مدمرة ، رأيت كل ما يخطر على بال بشر ببضع لحظات ، وفجأة وجدت نفسي جالسًا برفقة منذر وزوجتي السابقة سمر ، كنا نجلس داخل مكتبي بالعمل ، نظرت إليهم باستغراب ، ألقيت برأسي على الكرسي وبدأت أرتجف وأتخبط ، نهض إلي سريعا منذر ، وضع الماء على وجهي ، وكان يهزني بقوة ، كنت بين مدرك وغائب عن الوعي ، تتداخل ذاكرتي بحِملها الجديد كما قالت سراب ، بعد وقت قصير هدأت ولم أتكلم سوى كلمتين ، «أنا بخير «.

جلست أحاول أن أفهم ما الذي يحدث ، كان كل شيء واضحا ولكنه صعب التصديق ، استأذنت منهم على عجل، وخرجت لأكون وحدي ، ربما أستوعب ما حدث لي للتو .

كان الألم فظيعًا، كمن يغرز خناجرًا داخل رأسك ، لحظات كانت كفيلة أن تدخل ذاكرة جديدة إلى ذاكرتي ، كيف لي أن أصدق ذلك أو أنكره وهو واقع أعيشه الآن ، أشدّ بيدي على رأسي علّ هذا الكابوس ينتهي ولكن دون جدوى ، كانت الأصوات داخلي تتعالى ، منها ما يقول لي: اذهب وأكمل هذه المهمة وكل شيء سينتهي ، سيرحل عنك هذا الكابوس ، وصوت آخر يقول لي لا تقم بأي خطوة

قبل أن تهدأ، وتستوعب ما حدث ، أفكار بدأت تأخذني بعيدا، تراني أنا هو أنا أم أنني مجرد غبار ، هل جاءتني ذكريات فقط أم أنني قد استُعمِرت ، الكثير الكثير من الأسئلة وبدون إجابات .

قررت الجلوس والتروي علّني أفهم قليلا مما يحدث ، وبدأت أفصل الأمور شيئا فشيئا ، بدءا من أنني ما زلت أنا وهذه حياتي لم يتغير شيء فيها ، لقد جاءتني رؤى وأحلام عن حياة أخرى أعيشها ، هذه الرؤى تقول أنني انتقلت من هناك إلى هنا ، كيف ذلك ؟ سأكمل ولنقل أن هذا الانتقال ليس سوى أحلام راودتني ، ولكنها بالتأكيد لها انعكاس ولم تأت لتذهب .

سآخذ الموضوع بشيء من التبسيط ، لم يحدث لي شيء ، أنا على ما يرام ، سأذهب حيث قالت سراب ، كل ما يحدث لي جنون وسأكمل هذا الجنون .

رن هاتفي وكان منذر يتصل ، كان يريد الاطمئنان عليّ، أجبته بأني بخير ، يبدو أنه صداع عابر ، لا تقلق ولكني لن أعود إلى العمل اليوم .

بدأ عقلي بالوخز مجددًا ، تذكرت منذر بذكرياتي الجديدة دون ترتيب مني ، بدأ عقلي يقارن مسار ذكرياتي مع منذر بين هنا وهناك ، عقلي ينزف ألما مع كل لمعة ذكريات.

إن الذكريات موطن النفس ومرجعية العقل والقلب سويًا ، هي سجل لكل حواسنا ، ومشاعرنا تقترن بها لتضيف لها سطرًا جديدًا أو تسترجع ما أرادت من هذا السجل ، هي مولد للأحاسيس كما أنها وقود المستقبل ، ومض الماضي بكل ما فيه ، كل أفعالنا مبنية على ذكرياتنا ، لا نستطيع التنصل منها فهي من صنعنا .

لا أتصور قدرة النفس على العيش بدون هذه الذكريات ، ستكون كمن يسكن بيتًا خاليًا من أي شيء؛ وطن دون معالم أو محيط ، نحن بدون الذكريات هباء يتوسط الفراغ .

قد يكون بعضها مؤلم وقاسٍ ، ولكن الذكريات هي الشيء الوحيد الذي كسبناه خلال ذلك الألم والبؤس الذي عشناه ، وقد تكون بهذه الحالة مولد للألم ، ووخز مستمر ، ولكن هذه الآلام ستكون درعنا وسورنا العالي لكي لا نعيد الكرة ونقع بنفس الخطأ ، وبعضها الآخر يشع سعادةً داخلنا ، وهذا النوع من الذكريات نحاول استدعاءه كلما استطعنا ، فأرواحنا تهوى هذه الذكريات ، نبحث عن تفاصيلها داخل دهاليز العقل والقلب ، نستحضر كل ما فيها .

وأظن أن الذكريات أعمق من كل ذلك أيضًا، هي خليط لايمكن فصله ، سلسلة مترابطة من الأحداث ، فإن عدت بذاكرتك لضحكة حبيب تولد على وجهك ابتسامة لحظية ستجر معها انتكاستك مع هذا الحبيب ، وداخل أروقة الذكريات هناك قسم يجمع لحظات السعادة ويرسلها إلى صندوق الحنين الذي يتولد عند استسلام

النفس للواقع وانقطاع الأمل لتكرار الذكرى ، فيعود إلى صندوقه ليعود لنا بفصل سعيد من الذكريات .

أما أنا فحالتي الآن مختلفة ، وها أنا أختبر فصلًا جديدًا من الحكاية ، تداخل عالمان بكل ما يحملان من ذكريات ، وعليّ أن أعتاد على ذلك ، كل ما فيّ عليه الاعتياد عقلي وقلبي ومشاعري وحتى ذواكر الرائحة والمكان ، لا أعلم إن كان بوسعي فعل ذلك ، ولكني ورغمًا عني سأقبل بالأمر.

أردت لهذا أن ينتهي أريد أن تعود الامور إلى نصابها ، فلترحل هذه الحياة الأخرى، أو الأحلام أو الذكريات ، أي شيء تكون ، فقط ارحلي عني، ولتزداد الأمور سوءا رن هاتفي مجددا وكانت نور تتصل ، في صورة من هنا وصورة من هناك تجمدت ، كنت بداخلي أفهم مايحدث نوعا ما ولكنه منافٍ للعقل والمنطق ، كان صعب التعايش ، ربما هي البداية فقط بعدها ستهدأ الأمور، أحتاج مزيدًا من الوقت ، لم أجب على الهاتف .

دون التفكير أكثر توجهت إلى المحل الذي سأشتري منه البخور ، أردت أن أنهي هذا الأمر، وربما أردت أن أتأكد من صحته مع أني بت على يقين بحقيقته ، وصلت إلى السوق سألت أحد المارة عن محل السرمد ، ها قد وصلت إلى المحل وللأسف كان مغلقًا ، أخبرني جاره أنه أقفل المحل وخرج وربما لن يعود اليوم.

جلست في أحد المقاهي وطلبت فنجان قهوه، لم يكن بوسعي إلا الضحك في هذه اللحظات ، أشعلت سيجارة وبدأت أذكر شيئا من هنا وأراه هناك ، مضى بعض الوقت ولأكون صادقا مع نفسي لقد بدأت أحب الأمر، لم يعد الأمر مزعجا ، أمر جميل أن يكون لي حياتين ، وما الضير في ذلك ؟ بعد هذا المرض وقفت وقفة منتصر على نفسي ، لم أكن أعلم ما التدبير في القادم ولكني بدأت أنظر إلى الجانب الجميل من القصة .

وأول الجمال هو نور، حبّ حياتي اتصلت بها وأخبرتها أنني قادم لرؤيتها ، تجمعنا قصة حب لا تشوبها شائبة غير أنها متزوجة ، وهذه ليست شائبة بالنسبة لي، ولكنها مصدر قلق وعذاب ضمير نور ، رغم أن علاقتها مع زوجها شبه منتهية ، إلا أنها ما زالت تضع لها وزنا.

لم أفكر للحظه أنني ممدد شبه ميت في عالمي الآخر الآن، وأن والدي يحترقان شوقا لعودتي، كان الأمر أبسط من ذلك ، أردت أن يهدأ يومي ويستقر عقلي وأكسب ما استطعت من هذا الأمر ، بدأت أقلب صفحات حياتي بين هنا وهناك ، لقد كان الأمر جميلا كنت مقبلًا عليه كقارئ نَهِم وجد كتابا من العيار الثقيل.

سرحت بوجه نور عند لقائها ، وبدأت أحدث نفسي أي قدر أو صدفة قد جمعتنا بالعالَمين بالطبع مع اختلاف الظروف ، هي لاحظت شرودي طوال لقائنا ، وطبعها الفضولي قد أجبرها أن تزيد بإلحاح لمعرفة سبب حالتي هذه ، حاولت تقديم تبريرات كثيرة ، ولكن دون جدوى ، وبالتأكيد أول ما يخطر ببال فتاة مغرمة هو وجود فتاة أخرى ، بدأت أسئلة الشك تزداد ، فقررت أن أنهي لقاءنا متعللًا بأني متوعك قليلًا ، ويجب أن أنهي أعمالي بالمكتب وأعود إلى البيت لأرتاح.

لأول مرة أحس بغيرة نور ، ربما لم تجد ما يشعل غيرتها من قبل ، وحتى هذه المرة لا أعلم تحديدًا سبب غيرتها الواضحة ، والغريب أنها غيرة من مجهول يدور داخل عقلها ، ولعل سببها ومشعل فتيلها هو الشك ، اللحظة التي تسمح بها للشك أن يحاور عقلك ، ستكون هي لحظة تورطك به ، هو قاتل صامت يجعل منك السائل والمسؤول ، تبدأ تدور داخل دهاليزه اللامتناهية ظنًا منك أنك ستجد الجواب داخل عقلك ، وبعد أن يرهقك هذا الدوران تبدأ بالبحث عن الإجابات خارج عقلك ، وهنا يبدأ الخطر ، لإن هذا الشك سينعكس على أفعالك القادمة ومع الاستمرار ستجد نفسك تتخبط بأفعالك وحتى داخل عقلك ، والصنف الأخطر من الشك هو أن يبقى سجان أفكارك ومع الوقت لانعدام الإجابات داخل عقلك تبدأ بتحوير الأمور ، ترسم أجوبتك واسئلتك على أهواء شكك ، وهذا هو الموت البطيء لكل ما ينجزه هذا الشك .

قد تكون هذه المرة الأولى – منذ بداية علاقتنا– التي أحب فيها أن ينتهي اللقاء، أن أجلس وحدي أكمل كتاب العالم الجديد الذي فُتح اليوم، هناك الكثير من التفكير اليوم، بالتأكيد لن أخبر أحدا فما عساهم يفعلون إلا أن ينصحوني بزيارة طبيب نفسي، ربما يكون ما أمر به مرض نفسي معين، لا لا ليس كذلك ... ولمَ لا؟ ما الذي يثبت هذه التهيؤات؟ هي بالأساس مجرد خيالات وأوهام تدور بعقلي فقط، ولكنني ذهبت إلى المحل بسوق روح العطارة وفعلا هو موجود. إن ذلك لا يثبت شيئا أيضا، أنا أعرف هذا السوق من قبل و ربما قد مر بي هذا الاسم من قبل، إذن سأتأكد غدًا. هذا سيثبت كل شيء ...

وصلت إلى البيت ، وكان والداي يجلسان قرب الموقد كالعادة ، كان شعوري اليوم مختلفًا نحوهم ، أكثر حبًا وقربًا وحنينًا من ذي قبل ، سلمت عليهم وكأني أعود من سفر ، حضنتهم بقوة ، لقد استغربوا تصرفي قليلًا ، ولكنهم شعروا بالسعادة الغامرة ، ولأني على عجل من أمري لم أطل الجلوس معهم ، صعدت إلى غرفتي لأكون وحيدًا.

أول ما خطر لي بأني تزوجت من سمر بالعالم الآخر، وبأننا كنا حبيبين ، كان هذا غريبا بعض الشيء ،فهي حبيبة صديقي منذر منذ وقت طويل ، بدأت أبحث عن مواقف تكشف شيئًا من

حب دفين تجاهي ، لم أجد شيئًا إلا أني أردت أن أبدأ بتحور الكلمات والمواقف على أهوائي ، أزحت برأسي نافيًا هذه الفكرة ولكنها بقيت تدور في الماضي دون سلطة مني .

لقد قلّبت الكثير الكثير من الذكريات وبدأت بمقارنتها مع أني كنت أتوقف وأقول: دعنا نتأكد من الأمر غدا ، ومن ثم نرى ماذا سنفعل ، ربما أكون قد جننت أو تكون الحقيقة ، ولكن بعد أنهي أمر البخور وأشعله ينتهي هذا الشيء ويمحى من ذاكرتي إطلاقًا، لقد أعياني السهر وأتعبني الأرق هذه الليلة ، ولكني بعد جهد جهيد نمت .

أما أبو خالد وأمه ونور أيضًا قد تعبوا من انتظار عودة خالد ، فقدوا الأمل والثقة بكلام سراب ، فقد مضى اليوم بطوله دون أن يحدث شيئا ، ولا حتى علامة أو إشارة صغيرة .

نظر أبي إلى سراب وقال لها : وماذا الآن كما ترين لم يحدث شيء ، غضبت سراب من نظرات والدي وكلامه وقالت له : اسمع لقد قلت لك بأن لا شيء مضمون ونحن نخوض بالمجهول ، ولكن أنا أؤكد لك أنه وصل إلى العالم الآخر ، لا أعلم أكثر من ذلك ، الآن الموضوع بأكمله بين يديه ، سننتظر ونرى، بعد هذا الحديث قرروا إعادتي إلى المستشفى ، وقبل أن تخرج سراب من البيت قالت : قد يعود بأي وقت ومعه أسرار تختبئ منذ زمن . قالت هذه الكلمات وغادرت.

واليأس مصطلح يقال كثيرًا ، ولكن من الصعب حدوثه أو الوصول إليه ،إنه يحمل أشد أصناف الألم للنفس وخاصةً إن كان اليأس من أمر مصيري يحمل بين جنباته الخنوع والاستسلام والانقياد ، يجعلك ترمي بكل محفزات النفس ودوافع نجاتها ، تنتظر حدوث الأسوء دون حراك .

ولا أظن أن أبي قد وصل إلى مرحلة اليأس الآن ، الأمل الذي جعله يذهب وراء خيوط المستحيل لن يجعله يستسلم ، بالرغم أن استسلام أبي لن يكون له انعكاس على حالتي الآن ، ولكن إن لم ينجح سيكون له انعكاس بالمستقبل بالتأكيد ، وأنا لا أريد للأمل الذي تولد أن ينقطع وإن نضب هذا الأمل ، فإن أملي أن يتولد أمل جديد لدى أبي فهو محركي وربان سفينتي .

استيقظت متأخرا كالمعتاد لم يتغير شيء ، ما تغير هذه المرة وجهتي ، فأنا ذاهبٌ إلى سوق روح العطارة لأشهد لحظة الحقيقة ، عندما وصلت كان المحل مفتوحًا ، دخلت وكان البائع يجلس على كرسي خشبي وأمامه مكتب من حديد صدئ ، يلبس مسبحة برقبته ويده مليئة بالخواتم المزينة بالأحجار ، طرحت السلام عليه وسألته : هل أنت السرمدي صاحب المحل؟ أجاب نعم أنا ، تفضل.

أريد أن أشتري بخورا اسمه جسر العالمين . كان يحمل بيده

كأس الشاي وقد وضعه على فمه لم يأخذ رشفته ووضع الكأس ونظر إِلَيَّ باستغراب ، صمت قليلًا ثم أجابني بارتباك وكذب واضح: ليس عندي هذا البخور ولم أسمع به من قبل.

– اعلم أنه لديك وسأدفع الثمن الذي تطلبه.

– قلت لك إنه ليس لدي ولماذا لا أعطيك إياه، أنا هنا لأبيع بضاعتي.

– اسمع أرجوك أن الأمر مهم وأنا متأكد أنه لديك، وأعلم أنه خطير، أرجوك ساعدني. كنت أتذكر كلمات سراب وبدأت أتأكد أن هذه حقيقة

– اسمع أنت تزعجني لا أكثر من ذلك، قلت لك لا يوجد لدي، وكفى

– لقد بعثتني إليك سراب، دُهِشَ من كلامي وابتسم، في هذه اللحظة التفتت إلي فتاة كانت تقف بزاوية المحل وقالت أنا بعثت بك؟ وهل أعرفك أصلا؟ من أنت وماذا تريد؟

– صُدمت عندما رأيت وجهها، إنها سراب ذاتها، نعم إن كل شيء حقيقة يجب أن أحصل على هذا البخور مهما كان الثمن

– أجبتها نعم أنت سراب بعثتِ بي من العالم الآخر إلى هنا، نحن هنا في العالم الموازي، أليس كذلك؟ ! إنكم تعرفون ذلك، تقدمت بخطوات بطيئة تجاهي، نظرت في وجهي ثم جلست ونظرت إلى السرمدي بذهول، هو أيضًا كان مذهولًا متسمرًا، أما أنا فقد امتلكت شدة لم أعهدها من قبل، قالت لي أخبرني عن سراب التي تعرفها

بالعالم الآخر؟

– أنها أنت بالضبط لم يتغير فيك شيء، شيء بسيط بلباسك

– أخبرني بكل شيء وصفًا دقيقًا ، فربما أجد شيئًا يثبت جنونك .

– كنت تعلقين الكثير من التمائم تشبه هذه ، وكان بيدك مسبحة أحجارها باللون الأرجواني والأخضر، أحجارها كبيرة وتصدر صوتًا عاليًا عندما تتحركين .

تكلمت بصوت خافت ، هذه المرة يملؤه الخوف والذهول ، توقف هذا يكفي ، اجلس يجب أن نتحدث برويةٍ الآن ، هل سمعت يا سرمدي إن كلام أمي كان صحيحًا .

– أردت أن أؤكد لهم كلامي أكثر ، لقد أخبرتني أن السرمدي لن يقبل أن يعطيني إياه ، وقلت لي كيف أشعله أيضًا .

– لن نستطيع أن نكمل كلامنا هنا ، لنذهب إلى منزلي ، أعطني البخور يا سرمدي وسنرى ماذا سنفعل !

خرجت برفقتها ولكن السرمدي رفض مرافقتنا ، أظن أن الخوف قد تمكن منه ، أو أن له سببا آخر ، وصلنا إلى بيتها وجلست أخبرها بكل ما أعرفه ، كانت كمن وجد كنزًا ، لا أعرف السبب ، كانت تريد مني أن أخبرها أكثر عن حياتها في العالم الآخر ، ولكن للأسف لم يكن باستطاعتي .

- الآن يمكنك أن تنهي الأمر أسفل هذا البيت ، يوجد قبو لا تدخله شمس ، ولكن دعني أقول لك أمرًا ، إنك شجاع حدّ الجنون فكن حذرًا ، نحن نسمع عن العالمين وعن جسر العالمين ، لكن لم يسبق لأحد أن اجتازه – إلا أمي طبعًا – ولكنها أكملت بقية حياتها تهذي حتى قتلت نفسها ، كان عليّ أن أحذرك لأني أرى فيك شجاعة تميل إلى الجهل ، فكن حذرًا .

كلامها هذا كان صفعة أيقظتني من سكرتي هذه ، بدأت أفكر بحجم الأمر ، مع أني منذ لحظات ليست بعيدة كنت غير مكترث ، مقبل دون تردد ، ليتك لم تتكلمي ، أخذت نفسًا عميقًا وأشعلت سيجارة وقلت لنفسي : لمَ عساي أعرض نفسي للخطر؟ أنا هنا الآن ولم يتغير شيء ، أستطيع أن أكمل حياتي وكأن شيئًا لم يكن ، لِم أكترث لنفسي بعالم آخر؟ قررت أن أتوقف عن إكمال الأمر .

خرجت من بيتها ، ووقفت خارج الباب كأني ولدت من جديد ، ولسبب لا أعلمه إطلاقًا طرقت الباب عائدًا ، فتحت الباب وقالت : علمت أنك ستعود وستفعلها ، رأيت هذا بعينيك .

نزلت إلى القبو ، كان الظلام دامسا ، ودون تردد وعلى استعجال أشعلت البخور لأدخل بنقطة لا عودة عن القرار نهائيًا ، كان الشعور يتمايل بين انتصار وخوف وندم لا ينفع ، ولكن تم الأمر وأُشعِل بخور جسر العالمين ، احترق على آخره وأنا أنتظر أن يحدث شيء ، أموت أو يغمى عليّ أو تزول ذاكرتي أو أي شيء آخر ، ولكن لم

يحدث شيء إطلاقًا .

خرجت وجلست وكانت سراب قد أعدت لي كوب شاي ، أذكر طعمه جيدًا ، كان متجانسًا حد الكمال .

- لم يحدث شيء ، كيف ذلك ؟ ترى هل كل ذلك وهم ؟
- لا أستطيع أن أجيبك ، ربما تجد جوابًا فيما بعد ، ولكن أنت فعلت ما يقع على عاتقك ، إن جدّ جديد معك فعد إلي .
- سأفعل ، إن حدث شيء ، ولكن أظن أن كل شيء انتهى هنا .

غادرت بيت سراب، وتركت ألف سؤال خلفي ينتظر إجابة .

متهالك، متعب، ومثقل بخيبة الأمل ، أثبتُّ أن هذا الأمر حقيقة ولكن لم أنهي الأمر ، شعرت بالحزن على نفسي.

بالعالم الآخر ، بدأت أفكر بأمي وأبي وخيبة أملهم ، بمقدار الألم الذي يعيشونه الآن ، تورد خدود أمي بات قتامًا، دموعها مع كل يوم يمر وهي تذبل، أبي مع كل ما يحمل من جبروت وقوة انقلب إلى ضعف وانكسار ، كنت كل شيء لهم ، وها أنا أعيش بعالم آخر وأحمل على عاتقي المستحيل ، بدأت أشعر بحجم ارتباطي بنفسي

بكلا العالمين ، فمشاعري واحدة لا تنقسم ، ولن أستطيع أن أفصل بينها وبين ذكريات العالم الآخر .

دخلت مكتبي وجلست أفكر باللاشيء ، أجمع أفكارًا وأحلل أكوانًا قد تولدت في عقلي ، كنت أملك الشركة التي أعمل بها ، كانت شركة صغيرة وكان منذر يعمل عندي وكذلك سمر أيضًا ، كنا أصدقاء منذ الجامعة ، بالبداية كان من الممكن أن تكون هذه الشركة لي أنا ومنذر ولكنه رفض أن يغامر ، خصوصًا أننا كنا ما نزال صغارًا ، وقرر أن يعمل في مجال تخصصه وقد كان محاسبًا ، لم يطل الأمر حتى ملَّ من محاولة العمل بين شركة وأخرى وجاء إلي ليعمل عندي ، تربطنا علاقة صداقة لا عمل هنا .

لقد جاء برفقة سمر إلى مكتبي ، جلسنا نتحدث عن حادثة البارحة ، كنت أراهم بعين أخرى هذه المرة ، ليس الأمر بيدي ولكن ما حدث بالعالم الآخر انعكس على مشاعري ، كيف لا ونحن بشر ؟ بدأت أرى فيهم الرياء مع أن شيئًا لم يتغير ، كل شيء على حاله ، لم أستطع الجلوس معهم أكثر ، غادرتُ لرؤية نور ، فقد اشتقت إليها وهي بالتأكيد لا تزال غاضبة مني ، لم أحدثها منذ لقائنا البارحة ، أجزم أن اليوم سيكون متعبا جدًا، ولكنني بالتأكيد سأجعلها تبتسم ، لا زلت غير مدرك ما الذي جعلها تهتم لأمري في العالم الآخر ، لا شيء مفهوم بهذه العوالم المتداخلة ، قد تكون الأرواح متآلفة مع اختلاف عوالمها .

وكما توقعت كانت غاضبة إلى ما هو أبعد مما كنت أتصور ولكنها تحبني ، بالتأكيد ستجد لي عذرًا ، بررت لها أني بالفعل كنت

متعبا جدا ، حتى أني لم أعد الى العمل كما أخبرتك ، لقد عدت إلى البيت ونمت ، لم تكن راضية كل الرضا ، إلا أنها تجاوزت الموضوع ، وبقي الشك رفيقها يفيض من عينيها مع كل سؤال وحوار .

إني فعلًا أحبها بكل جوارحي ، هي ترفض أن تنهي علاقتها مع زوجها لنتزوج من أجل ابنها، لا تريد له أن يعيش بأسرة مفككة ، والحقيقة أن أسرتهم أبعد ما تكون عن الأسرة ، لا يزورهم إلا مرات قليلة بين شهر وآخر ، لا يرى ابنه ، لا يعلم عنه شيئًا ، إنها مخطئة بالاستمرار بهذا الزواج .

وبالرغم من ذلك فإني أحبها بكل ما فيي ، فالحب هو انعكاس النفس بالمرآة ، تكامل للصورة الشاملة لا تشابهًا، هو استسلام للرغبة بالامتلاك ، ولذة الخضوع لصوت القلب المقيد بسلاسل تلك المرآة ، ولعل الحقيقة تقف جاثمة على حد المرايا ، هو حرب بين النفس وضدها لتسليم مقاليد الحكم والسعي وراء خلود القلب .

كان فراشي هو ملاذي من كل هذا العناء ، أردت النوم لأهرب من كل ما يجول بعقلي ، أغلقت جفوني ولكن عيني لم تنم ، بقيت تلاحق أطياف عالمين قد فُرِضا فرضًا ، كان نومي صعبًا هذه الليلة متمنعًا متعنتًا يرفض الانسياق ، ربما علم بمدى حاجتي إليه ، ولكن في نهاية المطاف نمت ، كنت أحلم بحياتي الأخرى او بالأحرى استكملت حياتي الأخرى ، فلحظة دخولي النوم كانت تلك لحظة عودتي لعالمي الأصلي ، فتحت عيني وكان أبي وأمي

يتنفسون الألم مع كل نفس لهم ، كانت أمي تمسك بيدي وتشد عليها كأنها تتوسلني أن أستيقظ من سباتي العميق ، للحظة الأولى لم أصدق نفسي عندما شددت بأصابعي على يدها ، وأظنها لم تنتبه للوهلة الأولى ، نطقت بلسان قد سئم السكوت ، صرخت بأعلى صوتي ، كان صراخي هيستيريًا حتى أنني لم أسمح لأمي وأبي أن يفرحوا بشفائي لخوفهم مما حدث لي ، فقط احتضنونني بلسان ذاكر بالحمدلله الحمدلله .

ضممتهم إلي بكل ما أوتيت من قوة ، قبلتهم وعندها اختلطت دموعهم بضحكاتم ، اجتمع كل الأطباء والممرضين وحتى المرضى من الغرف الآخرى ، جاءوا ليشاهدوا هذا المريض الذي مضى على غيبوبته أكثر من عام وقد عاد إلى الحياة من جديد .

كانت حركتي صعبة جدًا ، كل مفصل بجسدي كان قد تحجر ، كان الألم فظيعًا ، ولكن الموقف أجمل ، لن أنسى وجه أبي وأمي بتلك اللحظة .

كان بودي أن أصرخ أكثر ليشهد العالم أجمع بأني عدت ، أخبر الكون أنني هنا ، أحرك يديّ وأنطق بلساني وأقف على قدمي بالرغم من أني لم أستطع الوقوف لأول مرة ، كان الموقف رهيبًا ممزوجًا بكل مشاعر النفس التي عرفها الإنسان والتي لم يعرف .

أراد الأطباء أن أريح نفسي ليقوموا بإجراء بعض الفحوصات السريعة ، ولكني رفضت ، كنت أصرخ « لقد زال كل شيء ، أنا هنا الآن »

بعد أقل من ساعة هدأ المكان وهدأت الآن ، كنت كالطفل بين يدي أمي وأبي ، يقبلونني ويحضنونني طوال الوقت ، كم كنت سعيدًا .

- لقد نجح الأمر يا أبي ، كان ضربًا من الجنون ، هناك عالم آخر فعلًا.

- اهدأ يا بني ، لن نتحدث عن شيء الآن ، سنتكلم لاحقا بكل ذلك .

مرت ساعات حتى جاءت نور كعادتها ، دخلت ولم تكن تعلم بما حدث ، كنت أجلس على الكرسي بجانب سريري برفقة والديّ عندما دخلت الغرفة .

- رباه .... إنك ....

- نعم لقد أفقت والحمدلله ، شكرًا لك على كل شيء ، لقد فاتتك بعض الفوضى فقط .

- الحمدلله ، نظرت إلى أبي باستغراب وقد حتم عليها أن تصدق أن الخرافة كانت معجزة .

- وهل كان الأمر بسبب تلك العرافة ؟ هل الأمر حقيقي ؟

- أوقفني أبي عن الحديث ، لن نتحدث بشيء اليوم ، غدًا إن شاء الله يخرج إلى البيت وهناك بإمكاننا التحدث .

اقتنصت الفرصة لأدعوها إلى البيت .

- إنك مدعوة ، أرجو أن ترافقينا غدًا إلى البيت .

- كنت أعلم أنها تريد الحضور بالتأكيد ، همست لها بصوت خافت: إن صندوق أسرارك بات يتكلم الآن حاذري ، ضحكت بخجل ثم غادرت.

لم يشأ أبي وأمي أن يغادرا هذه الليلة ، ولكني أصررت أن يعودا إلى البيت وطلبت منهم أن لا يخبرا أحدا من أقاربنا ، فقد كنت أريد أن أمضي بضعة أيام براحة تامة .

الغريب أني لم أفكر كثيرا بكل ما حدث ، ربما إلى الآن سبب السعادة التي ترمي بظلالها على كل ما بداخلي ، وربما لذلك لم يرد أبي أن أتحدث عن أي شيء اليوم ، أما فضول نور فقد كان أكبر من صبرها إلى الغد ، عادت إلي بعد أن غادر والدي .

دخلت إليّ مبتسمة تنتظر أن تسمع مني الحكايا .

- لقد حان دورك يا خالد ، لقد حدثتك كثيرا وكنت مستمعا جيدًا ، دورك اليوم أن تتحدث ، هل ما حدث يوم أتت العرافة هو سبب شفائك ، هل حقًا يوجد عالم آخر ؟!

- لا أعلم ما الذي دفعني لأقول لها وأخفي عنها هذا الأمر ، بسرعة وبدون تفكير ، بالتأكيد لا ، وهل تصدقين تلك الخرافات ؟!

- لم يعجبها جوابي أو أنه بكل بساطة غير مقنع ، ولو كان جوابي نعم لن تصدق أيضًا ، ولكن النفي أسهل بالتصديق

، فالصدفة أكثر تصديقًا من الخرافة ، صدفة شفائي بعد يوم واحد من حادثة العرافة تلك .

- **تحدثنا كثيرًا ، كان مساءً شيقًا مليئا بالأحاديث ، كيف لا وأنا أحفظها عن ظهر قلب ، أعرف أدق تفاصيلها وأرى طريق قلبها أيضا ، ولم لا ؟ ستكونين حبيبتي بالعالمين ، فامرأة مثلك تستحق أن أعشقها بكل أقطار الكون إن وجدت .**

لا أستطيع وصف سعادتي أو حتى استيعابها ، كلما فكرت بما حدث لي وأنني الآن سليم معافًى تتأجج سعادتي أضعافًا ، لقد كان حلمًا مستحيلًا وقد تحقق ، يمتزج بهذا الحلم إحساس النصر وهذه المغامرة التي تخرج عن نطاق الواقع ، يتملكني الخوف قليلًا كلما فكرت بالأمر ، ولكن طعم المغامرة الناجحة رائع .

الآن سأمضي من جديد ، ليس هناك مزيد من الألم ، لن أكون حبيس نفسي وهذا الفراش المقيت ، لقد كانت فترة مرضي أسوء ما قد يحدث لأي شخص ، أظن الموت أهون من ذلك ، رغم أني نجوت ولكن ذلك الألم لا يوصف ، إنه يوجعني كلما عدت بذاكرتي ، حتى أنني أحاول أن لا أتذكر شيئًا مما كان ، أريد أن تُطوي هذه الصفحة من ذاكرتي وحسب .

أتـوق شـوقًا لأرى الشـوارع وأتجـول مكتشـفًا العالـم مـن جديـد ، اشتقت لكل شـيء والجميل أن كل مـا أريـد فعلـه هو باستطاعتي الآن ، لقد عدت ، نعم لقد عدت .

لـم يكـن نومـي صعبًـا هـذه الليلـة ، بضـع ابتسـامات علـى شـفتي وضحكات قلبـي كانـت كفيلـة أن تدخلنـي النـوم، وكحـال نومـي بالعالـم الآخـر حـدث أن تكـون لحظـة نومـي هنـا هـي لحظـة دخولـي للعالـم المـوازي .

استيقظت من النـوم وكنـت اذكر بالتفصيل مـا حدث هنـاك –بالعالم الآخر– حتـى لحظـة نومـي كان الأمـر غريبًـا ، فقد كنت مشتتًا جدًا ، هل تراني عدت إلـى هذا العالـم كحـال المـرة الأولـى وأكـون قـد عدت إلـى مرضـي بالعالـم الأصلـي ، أم أن هـذا شـيء آخـر ، بـدأ القلـق يقتلنـي وليس عنـدي جواب لذلـك ، وليس لأحد أن يجيبنـي علـى ذلك أيضًـا.

وأول من خطر ببالـي ليحل معي او ليحل لـي هذه الأحجيـة هـي سراب ، أردت لأحد أن يشاركني هذا العبء ، أو أن أجد تفسيرًا لهذا ، أحيانًـا تأتـي كل الأحداث والأفكار إلـى رأسـي دفعـة واحدة مسببةً لـي آلامًـا كثيرة ، وأنـا أحـاول أن آخذ كل جزء علـى حدة.

عندما وصلت إلى سراب أحسست بشيء من الطمأنينة والسكون ، ربما لأني رسمت تصورًا بأنها ستكون على علم بكل ما يحدث، وستساعدني بحل هذا أو فهمه على أقل تقدير ، هذه المرة أنا من طلب منها الشاي ، لم يكن بحُسن المرة الماضية، ولكنه رائع بكل الأحوال .

اسمعيني جيدًا ، سأخبرك بما حدث عندما غادرت البارحة من عندك ، قد انتهى يومي دون أن يحدث شيء إلى لحظة نومي ، كانت هذه هي اللحظة الفاصلة ، كان بمثابة حلم لي ، لأني رأيت كل شيء أثناء نومي ، وما رأيته كان هو واقع حياتي بالعالم الآخر ، لقد أفقت ونهضت من غيبوبتي – هكذا يسمونها الأطباء – وأذكر كل تفاصيل اليوم وأحداثه إلى أن ذهبت إلى السرير ونمت .

الآن أنا لا أعلم ما الذي يحدث ، هل أكون قد عدت مجددًا إلى غيبوبتي بالعالم الآخر بعودتي هنا ، أم أنها الذاكرة ما زالت متصلة فقط ، أو أنني بت أحلم بكل ما يحدث لي هناك؟

سراب لم تندهش كثيرًا ، كان جوابها بسيطًا ولا يحمل أي حل أو تفسير ، هل كنت ستظن أنك ستقلب موازين الواقع وتتسلل بين عوالم الكون ، تعبر عالمين ولا تريد أي أثر ، إن الأمر أخطر من ذلك ، إنك لا تعلم حجم الأمر الذي فعلته ، قد دفع الناس أعمارهم

والغالي والنفيس ليقتربوا من أمر كهذا ، ولم ينجحوا .

اسمعني جيدًا ، إن كنت تريد أن تسلم بفعلتك هذه: فحاول أن تكون بحجم الفعل الذي فعلته ، كن قويًا على نفسك ، كنت أنت المُسيّر للحكاية ، فواصل ذلك ، خذ ما استطعت من منفعة دون أن تحدث جلبة ، فإن للعوالم أذانٌ وعيون .

- لم تخبرني عن نفسي بالعالم الآخر ، لدي فضول بأن أعلم ماهية حياتي هناك ، وإنما كنت أقول لنفسي لو عاد بي الزمن لغيرت الكثير من فصول حياتي وكما تعلم ليس هناك عودة ، ولكن بما أني أعيش بعالم آخر كنت أود أن أعلم هل هناك اختلاف بيني وبين سراب هناك ؟!!

- كان بودي أن أجيبك ولكني لم أرك باليوم الأول من عودتي هناك ، ولكن أظن أنه من واجبي أن أشكرك ، حتمًا سأذهب إليك ، لا تقلقي سأحدثك بالكثير عن نفسك ، سأكون أنا العراف هذه المرة .

كان الشتات عنوان يومي ، لم يكن لدي فكرة ثابتة أو موقف واضح ، قابلت نورا على عجل، ولم أذهب للعمل هذا اليوم ، كنت أقود السيارة من غير وجهة ، أتنقل من هنا إلى هناك ، لعلي كنت أنتظر أن أنام وأصحو لأرى أين ستأخذني الحكاية هذه المرة .

وأخيرًا استلقيت على فراشي وكأنه بساط الريح الذي سيأخذني بعيدًا ، وهذا ما كان ، استيقظت بالعالم الأصلي ، لم أنهض من فراشي كنت أعيد ما رأيت في منامي (يومي السابق في عالمي

الموازي) ، لم أستطع تفسير الزمن وماهيته بين هنا وهناك ، هل هي لحظة من هذا الزمن تأخذني بيوم كامل بالعالم الآخر أو أكثر قليلًا ، لأن الفترة التي أنامها لا تساوي يومًا بالتأكيد ، فأنا أنام بضع ساعات فقط ، والأمر ينطبق أيضا هناك على الحياة بالعالم الآخر أيضًا .

لن يتوقف الأمر على تفسير الزمن ، فكل حكايتي ضرب من الجنون ، ولكن الاستمرار بهذا الأمر على هذا الشكل سيكون مرهقًا جدًا ، وتذكرت كلام سراب بأن أمها قد أصابها الجنون وتوفيت بعد أن عبرت بين العالمين ، أخاف أن يكون مصيري كمصيرها ، ترى أين الحل ؟

بالتأكيد الحل عند سراب ، هي من وجدت ضالتي بالمرة الأولى ، وغالبًا ستجده بالمرة الثانية .

اليوم سأخرج من المستشفى وأذهب إليها أو أدعوها إلى البيت لنتحدث بكل ذلك ، جاء أبي مبكرًا لاصطحابي للبيت ، غادرت المستشفى دون أن أرى نورا ، جزء مني كان يقول لي انتظر قدومها لتودعها أو تدعوها للغداء أو الخروج سويًا أو أي عذر آخر ليكون بيننا لقاء ، وجزء آخر كان يستعجل خروجي من المستشفى ويقول لي ستراها فيما بعد ، أنت تعرفها وتعرف مكان عملها وكل شيء عنها ، اذهب الآن واحرص على رؤية سراب علك تجد مخرجك سريعًا .

وبالفعل ذهبنا أنا وأبي لرؤية سراب في منزلها وذلك بعد إلحاح شديد مني ، فقد فضل أبي العودة إلى المنزل والمضي بضعة أيام قبل رؤيتها ، وأثناء ذهابنا لرؤيتها كنت أحدث أبي عن تفاصيل رحلتي وعن العالم الآخر ، لقد كان مستمتعًا جدًا بما أرويه له ، بالفعل أنها قصة مشوقة ، فكم من حكاية نرويها بكل سهولة ولكن دون أن نعيشها ، فعيشها أقسى أنواع الألم .

قد تكون آلامنا على شكل خوف أو فراق أو اغتراب ، وأي شيء قد يكون مصدرًا كبيرًا للألم وأشدها غرابة ألم السعادة ، وهي كثيرة فمن إحداها أن تأتيك السعادة بعد فوات الأوان بقدومها .

فالسعادة هبة الروح للنفس ، طفو لماهية الروح ، انقطاع الوصل بالأسى وترسيبٌ للشوائب .

وأظنها استعادة للفطرة ، وليدة الروح وشكلها تأتيك على شكل ومضات ، ربما خشيةً من سقوط النفس إثر التعب فلا وجود للسعادة الأبدية ، والروح لا تطفو كثيرًا، إن ذلك يفسدها فالسطح حارقٌ تملؤه الأوساخ ، والسعادة سبب الألم والمعاناة فأشد المعاناة انتظار السعادة ومنتهى الاستسلام تمثيلها وقمة العطاء أن تكون مصدرها فهي مطمع النفس وطُعم الفريسة .

بيت سراب هو ذاته بالعالم الموازي ، يكاد يكون صورة مطابقة ، بعض الاختلافات البسيطة فقط ، كانت تنظر إلي وكأنني قد جئتها من عالم الجان ، كان سؤالي الأول – بعد أن أخبرتها بكل ما

حدث معي بالتفصيل – لماذا استمر اتصالي بين العالمين ، وكيف تفسرين ذلك ؟

- لقد قلت لكم من البداية إن الأمر يقود إلى المجهول ، لا نعلم ما قد يحدث ؟ ولكن بكل الأحوال ها أنا أراك أمامي مشافئَمعافى ، وما حدث ربما يمكن أن يُحلّ ، ربما .

إننا البشر متشابهون كثيرًا عندما نريد أمرا ما ، إذا حدث وتحققت النتيجة بشكل ممتاز دون أخطاء نهمل السبب ، مع أنه الأساس بكل الأمر ، ولا نعد ننظر للسبب إلا إذا كانت النتيجة فاشلة أو منقوصة ، فهنا يكمن السؤال الأهم لنتم الأمر ونحله ، ما هو السبب ؟ وليس السبب الذي أقصده هو سبب استمرار تواصلك بين العالمين ، لا ليس ذلك فهذا جزء من النتيجة ، أنا أقصد سبب حالتك الأولى ، سبب إشعال بخورك بالعالم الآخر ؟؟

إشعال بخورك بالعالم الآخر أصعب مما فعلناه عندما جعلناك تذهب إليه وتشعل بخورك ثانيةً وتحرر نفسك.

- نعم ، كنت أعلم أني سأجد ضالتي عندك ، هذا هو مصدر كل شيء .

تابعت سراب كلامها ، إن من فعل ذلك قد استطاع أن يتخطى كل مفاهيم العلم والشعوذة ، وحتى علم الأكوان ، إنه أمر محال

بالنسبة لنا ، ولكن للأسف لن تجد عندي جوابا ، فهذه المرة حالتي كحالتك ، أحمل تساؤلات فقط ، إن الإجابة لديكم ، إن استطعت أن تتوصل إلى الأمر أو اقتربت منه فربما بإمكاني حينها مساعدتك .

- ولكن كما علمت منك في العالم الآخر، فإن أمك قد جنت وماتت بسبب ذلك ، لقد فعلتها وانتقلت بين العالمين .

- ماذا تقول؟ هذا ليس صحيحًا ، ربما قد كذبت عليك – هناك – عندما قلت لك ذلك ، أو أن ما حدث لأمي بذلك العالم لم يحدث لها هنا ، رغم أني أستبعد الاحتمال الآخر .

- إذن ، ما الحل الآن ؟ هل سيستمر الأمر على هذا الشكل ؟ وكيف سأجد السبب بنفسي ؟ أنا لا أعلم شيئًا ولم يحدث يومًا أن اقتربت ولو بتفكيري بأمر كهذا .

- لا تحملني وزر الأمر يا خالد ، لقد ساعدتك وما زلت أساعدك بما أستطيع ، ونصيحتي لك لا تفرط التفكير بما لا ينفعك ، ركزَ جل اهتمامك بأن تستمر بحياتك كالمعتاد، وحاول أن تجد سبب الحكاية ، إن لم تستطع ذلك لا تجهد نفسك وحاول أن تتعايش مع الأمر .

بقي كل شيء ضبابيًا بالنسبة لي ، لم أتوصل الى حل أو حتى نقطة بداية للحل ، حتى أبي كان صامتًا لم يستطع أن يضيف شيئًا أو حتى يقدم نصيحة واضحة ، لطالما كان هو مصدر نصحي في الحياة ، هذه المرة لم يكن باليد حيلة ، فقد فاقت هذه الأمور علمه

وخبرته ، شيء ما داخلي يقويني ويدفعني إلى السير بهذا الضباب ، ويؤكد لي بأني سأعبره باقتدار .

وعلى غير المتوقع عندما وصلنا للبيت كان أقاربنا وأصدقاؤنا قد علموا بشفائي وقدموا مهنئين ، كم أكره جمود هذه الجلسات ، الكل ينافق ويتملق الآخر ، يصطنعون الأحاديث ،يمر الوقت الحقيقي وينتهي ، يمثلون حتى ابتسامتهم وطريقة جلستهم ، ليس فينا شيء على سجيته ، تكاد روحي تختنق مع كل زيارة من هذا النوع .

تبًا لهذا اليوم الذي لا ينتهي ، كان البيت مكتظًا بالزوار ، لم أستطع أن أحتمل أكثر ، همست بأذن والدي أني أريد الخروج ، سأقول للموجودين أنني سأذهب للمستشفى لفترة قصيرة ، أريد أن آخذ بعض الأدوية .

خرجت من البيت وكأنني خارج من سجن صوب الحرية ، وفعلًا لم أكذب ذهبت إلى المستشفى ، ونعم نور هي دوائي، كانت مشغولة بعض الشيء ، لم أشأ أن أسبب لها إحراجا بالعمل ، فانتظرت إلى أن وجدتني هي.

- خالد ، ماذا تفعل هنا ؟ أخبروني أنك خرجت صباحًا .
- نعم خرجت ، لكني لم أودعك حتى ، عدت لرؤيتك .

- شكرًا لك على لطفك ، لقد أتعبت نفسك بالقدوم .
- متى ينتهي عملك ؟ أو يكون لديك بعض الوقت لفنجان قهوة ؟
- لا أعلم بالضبط ، وأظن أنني مشغولة جدًا بالعمل ، وعندما أنهي عملي أعود للبيت سريعًا ، للأسف أني لا أملك الوقت الكافي ، شكرًا لك وللطفك ، ربما في يوم آخر .
- لا عليك ، أردت شكرك فقط ، إلى اللقاء .
- لا تغضب مني أرجوك
- بالتأكيد لا ، إلى اللقاء .
- كنت مصدومًا نوعا ما ، وربما لا يحق لي ذلك ، لعل علاقتنا بالعالم الآخر قد سهلت الأمر بعقلي ، أو ربما تعاطفها معي خلال مرضي ، يبدو أن الأمر لن يكون سهلًا إن أردت الحصول على قلبها هنا أيضًا ، ولكنني سأفعل .

لا أخفي أن جزءًا كبيرًا من تفكيري قد توجه صوب نور حال قلبي ، رغم أن الجزء الأكبر كان يفكر بالخلاص من دوامة العالمين – وجعي الأكبر – بدأت ألهث خلف غبار التفاصيل المتعبة ، هي أكثر صدقًا من العناوين ، ولكنها مرهقة ومضللة حين تتبعها .

لكل منا غاية ، ولكل غاية مبرر ووسيلة ، وخلف ستار الغاية

يكمن السبب .

كانت سراب على حق إن أردت الخلاص علي أن أجد السبب ، ولن أسمح لنفسي أن تأخذني إلى حافة الجنون ، سأعيش مع هذا الصراع – صراع العالمين – بكل سلاسة واقتدار ، وخلال هذا الوقت حتمًا سأجد السبب متواريًا خلف ستار ما ، أويكون واضحًا وضوح الشمس التي لا نستطيع النظر إليها من شدة سطوعها .

فتحت أمي الباب ، كانت تتفقدني .

- ادخلي يا أمي ، اجلسي بقربي .

- لا أشبع من النظر إليك ، الحمدلله أنك تجاوزت مرضك ، كم أنا ممتنة يا رب .

كانت دموعها تصاحب كلماتها ، قبلتُ كفها وضممتها ، كنت بحاجة إلى حضنها .

- أريد أن أسألك يا أمي ، عندما جاء أبي برفقة العرّافة إلى البيت ، لماذا خرجتِ ؟ لم تقتربي منا حتى ، هل كنت رافضة للموضوع ؟

- لا لم أكن أرفض ذلك ، ولكني لم أوافق أيضًا ، لم أكن أستطيع اتخاذ قرارٍ بهذا الشأن ، ولكني كنت خائفةً جدًا ، خرجت ولكني لم أذهب لأي مكان ، بقيت عند باب المنزل ، كانت هذه اللحظة موجعةً جدًا يا ولدي ، شعور العجز موجع ، كنت عاجزةً حتى أن أشاهدكم ، كل ما أردته أن

ينتهي كل شيء ، لقد كان والدك جريئًا بقراره ، لم يتردد ، والحمدلله كان على صواب .

- أرجوك يا بني حافظ على نفسك لأجلنا ، أنت كل ما أملك بهذه الحياة ، وأيضًا لدي طلب لك.

- ماذا يا أمي ؟! مهما كان الأمر فهو مجاب .

- أعلم أن الوقت ليس مناسبًا ولكن ليستريح قلبي ، لا أريد لموضوع انفصال زوجتك أن يترك أثرًا فيك ، أريدك أن تتزوج ، أريد أن أرى أبناءك حولي ، ستعيش معنا ، هنا بيننا أليس كذلك ؟

- بالطبع يا أمي سأعيش معكم ، ولكن مبكر جدا أن نتحدث بموضوع الزواج ، عندما يحين الوقت وأجد من أحب بالتأكيد سأتزوج .

- سأتركك الآن لتنام وترتاح ، غدًا سأعد لك كل الطعام الذي تحبه ، تصبح على خير .

ذهبت إلى فراشي وأنا أعلم أين وجهتي بالمنام ، نهضت باكرًا بعالمي الموازي الذي وجب عليّ اعتياده أو وجب عليه اعتياد ذاكرتي وإضافتها كل يوم على ذلك العالم .

وصلت إلى العمل وكانت بعض نوايا الخبث داخلي ، لم أخطط لذلك ولكن هذا ما بدا لي ، ولا أعلم حقًا إن كنت أريد أن أرد

اللكمات التي جاءتني من سمر ومنذر أم أن هذا خبث وشرور ، وجد شجاعة لنفسه ليفعل أمرًا لم يكن ليفعله دون مبرر واضح ، وما كان يدور بعقلي أن أتقرب من سمر وأبعدها عن منذر وتكون هذا الصفعة لهم سويًا ، تعمدت أن أظهر لسمر نظرات إعجاب لم تعهدها من قبل ، فالفتاة تستطيع أن تميز نوع النظرة أكثر من الرجل دون تلميحات صريحة ، لعل دهاءهن ما يسمح بذلك ، تلك هبة وفطرة قد جبلن عليها ، لن أستعجل الأمر سأجعله يحدث على مهل .

أما نور فقد حضرت لها ما يفرح قلبها ويجعلها تتغاضى عن أيامي السابقة ، هي تحب الأحداث غير المتوقعة ، كباقة ورد على باب منزلها ، أو كلمة حب ضمن سياق لا يحتويها ، أو قصيدة شعر من شخص لم يحدث أن كتب شيئا كما فعلت اليوم ، كانت القصيدة أبعد ما تكون عن الشعر ولكنها أحبتها جدًا ، إن لها قلبا كقلوب الأطفال وكذلك ضحكتها ، يا لسعادتي عندما أراها تضحك ، لا أستطيع أن أفكر بالمقدار الذي أحبها فيه ، إنه بحجم العوالم والأكوان ، كل ما أتمناه أن أستطيع الزواج منها، فتكتمل سعادتي ، ولعلي أفعل ذلك بالعالمين سويًا .

ولكي أوازن بين معايشتي لحياتي واستمرار بحثي عن الحقيقة بين العالمين ، أذهب لرؤية سراب ، لقد كانت سعيدةً بقدومي ،

تنتظر أن تسمع مني عن حياتها بالعالم الآخر ، حدثتها بكل شيء ولكنها كانت متعجبة من كلامها بالعالم الآخر عن أمها .

وشجعتني كحالها هناك أن أجد السبب لكل ذلك ، قالت لي : نعم إن مفتاح كل هذا أن نجد سبب كل هذا بالأصل ، فالأمر لا يحدث عبثًا، حتمًا حصل شيء ما لكي يحدث كل ذلك .

باليوم التالي بعالمي الأصلي ، وجدت ما يزيد من إصراري على ما فعلت مع سمر بالعالم الموازي ، فقد علمت أن سمرا ومنذرا على علاقة منذ فترة ، ذهبت إلى شركتي التي باتت لمنذر الآن ، كنت كالشبح بأعينهم حين رأوني ، وقف متلعثمًا يهنئني بالسلامة ،أما هي فقد خرجت من المكتب مسرعةً دون أن تنظر إلى عيني ، جلست دون أن أصافحه أو أرد عليه التحية ، نظرت إليه باحتقار بحجم سنين الصداقة التي جمعتنا وقلت : اسمع يا منذر: بالنسبة لسمر فهنيئًا لكما ببعض ، فأنتما متشابهان ولست مكترثا بالأمر حتى ، وأما الشركة التي أخذتها مستغلًا مرضي ، وأعرف أنك ستقول أنك دفعت ثمن حصتي ولكن الأمر ليس كذلك فأنت تعلم بأن الأمور لا تقاس كذلك ، وأعدك أنني سأجعل هذه الشركة رمادًا ، بل وسأجعلك تفلس معها ، أنا من بنيتها وأنا أعلم كيف أهدم أركانها ، ولن أقول لك إلى اللقاء ، فليس هناك لقاء يجمعنا بعد الآن .

- انتظر واسمعني وبما أن الأمور باتت مكشوفة إلى هذه

الدرجة ، لا أنكر أني مخطئ بما فعلت معك ، ولكنني تصالحت مع نفسي على ذلك ، سأتجاوز الأمر ولن أشعر بعذاب الضمير ، لطالما كنت فتى أهلك المدلل ، تتفاخر أنك من صنعت هذه الشركة ، وبأنك كنت المبادر ولا أنكر ذلك ، ولكنك لم تجرب يومًا أن تضع نفسك مكان الآخرين ، كيف لي أن أبادر وأنا مفلس ، ولدت بأسرة فقيرة ليس لي أن أختار ، ، كل أفعالي رغمًا عني ، ليس باستطاعتي أن أغامر بأي شيء حتى ، أنت تأخذ ما تريده وسيستمر الحال معك هكذا ، لقد وجدت فرصتي بالحياة ، ولن أتراجع ، سأنتزع حقي منها مهما كلفني الأمر ، وأما عن سمر فهي من اختارت ، ربما كانت تجدك فرصة لها أيضًا وعندما ذهبت هذه الفرصة بمرضك الذي لا ينتهي عادت إلى الشخص الذي تحبه فعلًا من داخلها ، لسنا ملائكة يا خالد نحن بشر ، جُبلنا على الخطيئة فتخطَّ الأمر .

- بل هناك صنفان ، أحدهما جُبل على الكذب والنفاق والخداع مثلك ، وصنف جُبل على الفضيلة ولعلي كنت من هذا الصنف ، ولكني أعدك أني سأحاول أن أتغير قليلًا.

غادرت وغادرتني كل مشاعر الرأفة والسماح ، أخذت عهدًا على نفسي أن أهدم حياتهم فعليًا ، وكنت متأكدا من قدرتي على ذلك ، كنت أنا من قام بكل العمل بالشركة ، حتى أن عملاءنا كانت تربطهم علاقة طيبة بي ، حتى لو اضطررت أن أدفع مالًا من جيبي سأجعل

هذه الشركة تفلس ، لقد كان الغيظ يفيض مني ، لم يحدث أن أسأت لأحد منهم ، لطالما كنت الصديق الوفي والحبيب المخلص .

كنت غاضبًا حد الانفجار ، لا ألقي باللوم على أبي لأنه باع حصتي بالشركة لمنذر ، فقد ظن أبي أن السعر مناسب ، كما أن مسألة المال لم تكن مهمة، فقد كان أبي ثريًا جدًا ، ولكن بالنسبة لي كانت مسألة مبدأ .

بمزاج سوداوي يسيطر علي بالكامل كنت أقود السيارة ليمضي بي الوقت ، رن هاتفي وكان الرقم غير محفوظ على هاتفي ، أجبت الاتصال :

- خالد ، أليس كذلك ؟
- نعم خالد ، أهلا بك عرفت صوتها ، لقد كانت نور المتصلة ، ويا لفرحتي بها
- هل أستطيع أن أدعوك لفنجان قهوة؟
- نعم بالتأكيد ، وبالحال أيضًا

إن سحرها عجيب هذه النور ، لقد انقلب المزاج ورقص القلب فرحًا ، لو تعلمين ما يحمل هذا القلب لك ، إن الحب بذرة قد وجدت داخلنا منذ الأزل ، لا تخلق من قبلنا أو تتغير ، تنمو وتكبر بوجود حرفها الآخر ، أما عن الحب المصطنع الذي نوهم أنفسنا به فهو زائل لأنه لا يرتكز على هذه البذرة التي لا تكون إلا لشخص واحد فقط وبالنسبة لي هي نور .

كفتيريا المستشفى ليست أفضل مكان لنلتقي به ، ولكني أحب هذه الكفتيريا الآن ، فقد جمعتنا الآن بأول لقاء بكامل إرادتنا ، أحاديثنا خجولة كحال نور ، وبالنسبة لي مهما كان نوع الموضوع، فهو شيق حين يدور مع نور .

- سألتها عن سر اهتمامي بي من خلال مرضي .

- لا أعلم السبب على وجه التحديد ، ولكن كانت حالتك غريبة، ومعظم أطباء وكادر المستشفى كانوا يأسفون على حالك، ويحاولون مساعدتك ، وأنا أردت أن أخفف عنك بقدر استطاعتي ، كنت على يقين بأنك تستطيع سماع وإدراك ما حولك ، وأظن أيضًا أنني أردت التحدث إلى شخص ما ، شخص يسمعني دون أن يقاطعني أو يسدي إلي النصح ، كنت سعيدة بتلك الأحاديث .

- وأنا كذلك ، كنت أنتظر قدومك بفارغ الصبر ، ربما استمر الأمر معي حتّى الآن .

- ابتسمت وأظنها فهمت ما أرنو إليه ، وغيرت مسار الموضوع إلى مكان ليس ببعيد .

- ماذا فعلت خطيبتك أو زوجتك عندما علمت أنك شفيت وعدت إلى عافيتك ، أخبرني .

- لأكون صادقًا: إن الأمر لا يهمني بشيء من الآن ، وما

حدث أنها على علاقة بصديقي وشريكي السابق ، كنا نملك شركة سويًا ، وبعد مرضي أخبر أبي أن الأمور ليست على ما يرام ، وبالنهاية اشترى حصتي من الشركة ، لقد اجتمع أحقر شخصين سويًا ، بالنسبة لي ليس هنا ما يسمى خسارة صديق أو حبيبة ، وليس لأني لا أقدر الصداقة أو الحب ، بل لأن الصديق الذي سمح بهذه الخسارة ليس بصديق ، والحبيبة التي باعتك لم تكن حبيبة ، والزمن كفيل بذلك .

أكملنا الحديث تلو الآخر ، وكان الوقت يأخذنا حتى انتبهت إلى أن الوقت قد تأخر ، ودعتها إلى لقاء قريب .

أمي كانت تعاملني وكأني ما زلت بالمهد ، فهي ترى أني ولدت من جديد ، تنتظر عودتي بشوق مياه النهر للبحر ، تداعب شعري وتقبلني، فأعود طفلًا لا أحمل بالدنيا همًا ، ويسكن قلبي وكأنه لم يحمل وزرًا قط ، إن السكينة والأمان التي نجدها بحضن أمهاتنا فطرة غرست بالروح ، أما أبي فقد كان مشتتًا شاردًا يحاول أن يخفي ذلك دون جدوى ، حاولت أن أخفف شيئا عنه ، وأخبرته أني على ما يرام، وعن قدرتي على استيعاب الأمر والتعايش معه ببساطة ، وقلت له : لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا ، لنتخطى هذا الأمر يا أبي .

محملقًا بسقف غرفتي أحاول أن أجد مفتاحا أو إشارة ما، تقودني إلى بداية طريق أستطيع أن أسلكها ، خطر لي السرمدي وقررت أن أذهب إليه عند دخولي العالم الموازي هذه الليلة ، وفعلًا ذهبت إليه ولم أستطع أن أميز ردة فعله وطريقة كلامه، هل كان يخفي شيئا ما؟ أم أنه كان مرتبكًا من قصتي بشكل عام ، أو عله يفكر بشيء آخر ؟

خاطبني قائلًا : قل لي هل تم الأمر الذي كنت تريده ، ماذا فعلت يا بني ؟

- نعم لقد تم الأمر، وحدث أمر آخر أيضًا ، وجئتك علي أجد لديك إجابة ، أخبرته بما حدث معي بالتفصيل .
- إن لكل شيء ثمن ، وإن كنت تريد مني إجابة فبالتأكيد سيكون لها ثمن .
- لا تقلق بشأن المال ، تحدث ولك ما تريد .
- هذا جيد ، اسمعني جيدًا، سراب قد كذبت عليك بشيء ما ، إن بخور العالمَين لا يجعلك تنتقل بين العالمين بهذه الطريقة ، هو يسمح لك أن ترى عالمك الآخر كمشاهد فقط، ومن طرف واحد ، بمعنى إذا أشعلت بخورك هنا وإن كان عالمنا هذا هو العالم الموازي كما تقول وليس العالم الأصلي فإنك تستطيع أن ترى عالمك الأصلي فقط ، تشاهده بحلمك كما يحدث لك ومن شق واحد ، وإن أشعلته بالعالم

الأصلي سترى عالمك الموازي ، وحتى لو حدث أن أشعلته بالعالمين فإن كل عالم سيبقى مشاهدًا للآخر لا أكثر ، بدون تداخل كحالتك الآن ، وأيضًا حسب قصتك التي ذكرتها ما حدث لك من البداية شيء يفوق كل هذا – إن كنت صادقًا بما تقول طبعا – فنحن نرى الكثير من العالمين، والمغامرين بهذا الموضوع لا ينفكون يحاولون وصل العوالم ، وبالنسبة لي هذا كله هراء.

لم يكن الجواب كافيًا ولكنه كان بداية طريق ، فإن للكذب مغزى وسببا أيضًا ، سراب هي مفتاح هذه القصة، إلا إذا كان السرمدي يريد استغلالي وأخذ المال فقط .

لم أفكر أو أنتظر أكثر ، مباشرةً، ذهبت إلى سراب ، لا أعلم حقًا لماذا حال دخولي منزلها واستقبالي استبعدت فكرة أن تكون تكذب علي لأي سبب كان ، كنت أرى الصدق بكل جزء منها ، كما أنها طيبة جدًا ، ولكن وجب علي التأكد ، أخبرتها بما قاله السرمدي لي .

- نعم هو يقول الصواب ولكني لم أكذب عليك ، أنا فعلت ما طلبته مني وساعدتك قدر استطاعتي .
- قد ظننت أني بالعالم الآخر قد وصلت إلى علم يفوق علمي هنا ، كما أنه حسب ما قلت لي

بأنـي أملـك المسـبحة ذات المئـة وأحـد عشـر حجـرًا وهـي تحمـل الكثيـر مـن القـوى والمعرفـة ، إن هـذه المسـبحة عظيمـة جدا ، تحمـل داخـل أحجارهـا مـردة وخـدام الجـان ، إنهـم طـوع الإشـارة داخلهـا ولكنهـا مخيفـة جدا ، لطالمـا خفت صوتهـا وأنـا صغيـرة وذلـك الحجـر الكبيـر الـذي يجمـع كل حجارتهـا يحتـوي ملـك مـن ملـوك الجـن ، هكـذا أخبرتنـي أمـي ، كان جميـع العرافيـن يخشـون أمـي لأجـل هـذه المسـبحة ، كانـت أمـي متفوقـة علـى الجميـع بهـا ، الجميـع باسـتثناء المعلـم ، هـو سـاحر وعـراف كبيـر ، هـو مرجـع كبيـر بهـذا المجـال ، أذكـر ذات مـرة قطعـت المسـبحة وكانـت أمـي خائفـة جدا ممـا حـدث لـم تحـرك حجـرًا مـن مكانـه ، لـم تكـن تعلـم مـا عليهـا فعلـه ، حتـى جـاء المعلـم وجمعهـا مـرة أخـرى .

- كـم أتمنـى اسـترجاعها ولكننـي لـم أسـتطع الوصـول إليهـا لقد فقدتهـا والدتـي أيـام مرضهـا ، ولكنـي سـعيدة كونـي أمتلكهـا بالعالـم الآخـر .

ليـس بوسـعي سـوى تصديقـك يـا سـراب ، هـذا مـا كنـت أقولـه بنفسـي ، كان حدسـي يقـول إن سـرابا هـذه لا تخفـي شـيئًا عنـي .

- كل ما أريده هو الخلاص .

- ولن يكون مني سوى الصدق ولا تقلق أنا إلى جانبك مهما كلف الأمر .

- هل بإمكاني أن أقابل المعلم؟ لعلي أجد عنده ما يفيدني .

- لا أعلم ، ولا أظن أنه سيقبل بالأمر ، هو لا يقابل أي شخص ، فقط من يعرفهم من أتباعه .

- حاولي تدبر الأمر ، أنت تعلمين أني بحاجة لأي مساعدة ممكنة .

- سأحاول ، وإن تم الأمر سنذهب سويًا .

- أقدر لك ذلك يا سراب .

رغم أن الثقة بسراب وكلامها كان تهورًا ولكن وجب عليّ أن أغامر بهذه الثقة ، الآن أصبح عندي توجها نحو سراب بالعالم الأصلي ، لا بد أن هناك ما تخفيه .

مكثت بعض الوقت ، أتحدث مع سراب ، إنها لطيفة جدًا وجلستها جميلة تخلو من التصنع ، كلماتها واضحة لا تسعى لتنميقها ، وأظن أن هناك اختلافا كبيرا بينها وبين سراب الأخرى .

عندما ذهبت إلى العمل التقيت بسمر، وقد كان منذر قد غادر لأمر ما ، حاولت التحدث بشتى الأمور ولم أتطرق إلى العمل إطلاقًا ، استرجعنا ذكرياتنا سويًا أيام الجامعة ، حاولت أن أجعلها تنظر إليّ بمنظور آخر سوى الصداقة التي تجمعنا ، كان الأمر صعبًا، وبالتأكيد سيحتاج إلى بعض الوقت ، سأزرع بقلبها بذرة حب دفين

، سأجعلها تظن أن شيئًا ما داخلها تجاهي منذ زمن ولكنها اكتشفته حديثًا ، أقسم أني سأحرق كل ما تملكون حتى قلوبكم وبالعالمين .

لطالما كان عالمي هنا محصورا بين العمل والبيت ونور، ولا يختلف كثيرًا عن عالمي هناك سوى أن سمر كانت مكان نور وخلال الفترة القادمة ستكون نور بالعالمين . ولأن يومي لا يحلو إلا بها ذهبت لرؤيتها كالعادة ، ولكنها اليوم كانت مشتتة جدًا ولعلها هذه المرة قريبة جدًا من اتخاذ قرار انفصالها عن زوجها ، ولكنها مترددة ، هي تعود إلى نفس النقطة في كل مرة تقترب منها من هذا القرار ، طفلها عون ، دائمًا تقول لا أريد أن يأتي اليوم الذي يلومني فيه عون، ويقول لي أنه كان بإمكانك أن تحتملي أكثر لأجلي ،لأجل أن يكون لي أب وأم كباقي أطفال العالم ، لا أريده أن يشعر بأي نقص ، بالرغم من وجود هذا النقص ولكن بالتأكيد سيكون أكبر .

- سأكون له أبًا حقيقيًا يا نور ، سأفعل أي شيء لنكون سويًا ، لن أضغط عليك بهذا الموضوع ، ولكنك تعرفين موقفي ، أنا معك مهما كانت النتائج .

- أعرف يا خالد ، ولكن الأمر صعب جدًا ، سأترك الأمر على حاله ، لا أعلم ما سيحدث بالمستقبل ، كما أنني أفكر بك كثيرًا ، أنت تظلم نفسك بالاستمرار معي، يجب أن يكون لك حياتك ، بيت وزوجة وأولاد ، وأنا لا أستطيع أن أعدك بشيء ، إنني أنانية جدًا، سامحني أرجوك ، ولكن تأكد باللحظة

التي تقرر بها الابتعاد لن ألومك ولن ينقص حبي لك شيئًا.

- كفي عن هذا الكلام ، ودعي الأمر على ما هو عليه ، أنا سعيدٌ جدًا وتعلمين كيف تكتمل سعادتي.

مسألة تداخل العالمين هو الشيء الوحيد الذي أخفيه عن نور ، لطالما بُحتُ لها بكل مكنوناتي ، هي الحبيبية والصديق والعائلة .

لم يطل الأمر إلى أن استطعت مقابلة المعلم ، ذهبت برفقة سراب كما اتفقنا من قبل ، كان بيته طبيعيًا جدًا ، حتى أنه من المستحيل أن يخطر لك أن هذا منزل عراف أو ساحر ، ولكن لباسه وهيئته كفيلة بذلك ، فقد كان يلبس عباءةً فضفاضة ويلف عمامةً على رأسه وبيده عصا ، هي أقرب أن تكون صولجان من كونها عصا .

جلس دون أن ينطق بكلمة ، بدأت سراب بالحديث وأعادت إليه قصتي كاملة ، هممت بالتحدث وقبل أن أكمل كلمتي الأولى أشار إليّ بالتوقف ، بقي صامتًا لبضع دقائق ثم قال : وما يزعجك بما أنت فيه ؟ إن هذا الأمر هبة لك ، فلماذا ترفض هذه الهبة ؟

- إن الأمر متعب جدًا ، أريد أن يعود كل شيء كما كان ، لا أريد شيئًا خارقًا للطبيعة ، بالفعل لقد أتعبني وأرهقني الأمر جدًا .

- جد السبب الذي أوصلك لكل هذا ، بعد ذلك من الممكن أن تجد حلًا ، وبدونه لن يستطيع أحدٌ مساعدتك ، ما حصل لك ليس مصادفةً أو حادثةً عابرة ، هناك أمر خلف ذلك .

- تقصد أنك لن تستطيع فعل شيء لي .

- للأسف نعم ، الأمر محجوب عن رؤيتي ، لا أستطيع أن أساعدك بشيء .

- آسفٌ لإلحاحي ولكن إن أمكن فقط قل لي من أين أبدأ لأجد سبب هذا الأمر ؟ أقصد فقط قل لي أية إشارة أو تفصيل صغير يقودني للسبب .

- لقد قلت لك ، ليس لدي علم بذلك ، لن أخفي عنك هذا الأمر إن كنت أعلم به .

وقف منهيًا الحديث ، وغادرت أنا وسراب سويًا ، لم أجد عنده شيء مما أريد ، ربما كان يعلم شيئًا وفضل عدم التحدث أو أنه فعلًا لا يعلم .

- هل تظنين فعلًا أنه لا يعلم شيئًا ؟ وأنه بالفعل لا يستطيع مساعدتي ولو بمعلومة صغيرة؟

- بالتأكيد يا خالد ، من الجيد قبوله مقابلتك ، لا تشك أبدًا بما يقوله المعلم .

- ولكن أيعقل لشخص مثله – كما وصفته لي – لا يستطيع أن يساعدني ولو بشيء صغير ؟!

- نعم ، بما أنه قال أنه لايستطيع فتأكد انه كذلك ، وكما قال لك ، هذه هبة حاول أن تحبها .

- لا أريد هذه الهبة اللعينة ، أريد التخلص منها فقط .

العالم الأصلي :

لقد اعتدت الانتقال من عالم لآخر كل يوم ، لعله يصبح روتينًا إجباريًا ، وما أتمناه أن يكون يومي بالعالم الأصلي مختلفًا ويحمل لي الجديد ، وكل ما يشغل تفكيري منذ استيقاظي هو معرفة ما تخفيه سراب ، بالتأكيد لن تقول لي مباشرةً ، يجب أن أجد طريقًا مختلفًا.

ويومًا تلو الآخر ،ولقاءًا بعد لقاء ،كنت أطير فوق السحاب مع نور ، كم هي جميلة هذه الأيام ، لقد كنا منسجمين حد التوحد ، لم نفصح لبعضنا البعض بذلك ، ولكن هذا ما كنا عليه .

نلتقي يوميًا تقريبًا وكأنها تريد أن تعلم عني كل شيء وتختصر مسافة الزمن .

نور: لا أعلم سبب ما أنا فيه ، ولكني مقدمة على الحياة من جديد ، أطوي زمنًا مجحفًا وأفتح صفحات جديدة ، إنني سعيدة جدًا يا خالد .

- نظرت إلي وقالت : ربما أعرف السبب ، أحيانًا يخطر لي هاجس أن هذا حلم أو شيء عابر ، لم أعهد هذه السعادة من قبل .

- بالتأكيد ليس كذلك ، لن نفترق يا نور ، ربما عمر علاقتنا ما يزال قصيرًا ولكن أعدك بأنه سيطول ، لقد كنت لي نورًا بأحلك أيام حياتي .

إن الوقت بقربها يمر سريعًا ، أحب كل أحاديثها وأعشق أدق تفاصيلها ، ولكني بت أخاف مقدار السعادة هذا ، خوفي أن يكون السقوط مدويًا بعد كل هذا العلو .

جلست مع أبي ، ونقلت له شكوكي تجاه سراب ، وأنها تخفي شيئًا ما ، وسألته من أين استطاع الوصول إليها ، فأجابني بأن شخصًا يعرفه قد اقترح الموضوع عليه، وأعطاه رقم هاتفها وعنوانها .

- وهل تستطيع أن تأتي لي ببعض المعلومات عنها ، أي شيء يعرفه هذا الشخص عنها ، ربما نجد ما يفتح أعيننا على شيء ما .

- سأحاول ، سأتواصل معه وأخبرك بما يحدث بعد ذلك ، حاول أن تتخطى الأمر يا بني ، اعتبرها هبة من الله لك .

- إنها نقمة يا أبي ، لا عليك سيكون كل شيء على ما يرام .

- هناك أمر آخر يا أبي ، أريد أن تفلس شركة منذر مهما كلف الأمر ، بالنسبة لي سأقوم بالتحدث مع جميع العملاء وسأجعلهم يوقفون التعامل معه ، كما أنني تحدثت مع شخص يمتلك شركة منافسة، سأبعث بكل عملائنا له ، ولكني أريد أكثر من ذلك .
- يا بني على مهلك تروَّ قليلًا ، لماذا تشغل نفسك به ، لقد كان هذا ثمنه وهو ثمن بخس ، كنت تعتبره صديقك ، من الجيد أنك اكتشفت كل من حولك ، اترك كل شيء على حاله ، بالتأكيد سيقعون بشر أخطائهم دون جهد منك ، نصيحتي لك لا ترهق نفسك بالأمر حتى .
- لا أعلم إن كنت أستطيع نسيان الأمر يا أبي .

ومضت أيام وأسابيع على نفس الحال ، أدور بحلقة مفرغة ، عدا أنني استطعت أن أصل لمبتغاي مع سمر ، فقد استطعت أن أجعلها تبتعد عن منذر ، هي تحبني الآن ، ولعلها لا تحب أحدا بقدر حبها لنفسها ، مع أنني أحسب هذا الأمر انتقامًا ولكنه يحمل وجوهًا كثيرة ، فبحال حيدت هذا العام فإنني أحقر شخص على الوجود بما فعلته ، لقد خنت صديقي وفرقت حبًا وعلقت قلبًا باللاشيء ، نعم إن هذا الأمر يؤرقني قليلًا ، ولكن بالمجمل هو محبب ومستساغ

بالنسبة لي .

الغريب أنني ومع كل هذا كنت أجد لذة لهذه الخيانة ، لا أعرف مصدر هذا الشعور ، وهل جميع من يقومون بذلك يجدون هذه اللذة ؟!

ربما نحن كبشر أو حتى بعضنا يحب ما هو خفيّ ومتوارٍ مع أنني لم أكن أحسب نفسي من هذا النوع ، أو علّها لم تكن لذة الخيانة وإنما لذة البدايات ، فجميع العلاقات تكون جميلة بالبدايات ، صدقًا لا أعلم ماهية شعوري ، وليس بالضرورة أن أعرفه .

أما هي فأظن أن وصف شعورها صعب جدًا ، فالمنافقون لا شعور لهم ، ربما لم تفكر بحبها لمنذر وكيف ستواجهه بالأمر ؟ لم تفكر بشيء سوى بعلاقتنا القادمة ، ولعلي أمحو فكرة أنها أحبتني بالفعل ، كي لا أسبب المزيد من المتاعب لعقلي .

أما منذر فقد ألمته هذه الطعنة كثيرًا ، كان يحبها بصدق ، تغلغلت داخله واستوطنت قلبه .

دع الحب لأهل الجوى ، خُلقت حجرًا لا يئن ولا يحن ، لا يُحفر أو يُكسر ، كن كما أنت وإياك أن تجرب اللين ، لن ينالك سوى التعب ، هذه فطرتك فتقبل .

قد ينقصك أن تتذوق نبض ليالي الشتاء وابتسامة الحبيب أو حتى شوق من أثر النسيم تولّد ، يغريك الضعف فنحن نركض خلف نواقصنا أو يثيرك الفضول أن تدخل معركة الحنين .

احذر يا صديقي وانتظر ، فالوقت زادك ومنتهاك ، لا تتعجل فقد يأتيك كل ما حلمت به وما انتظرت ، يأتيك ماء عذب رقيق يداعب فؤادك ، يلفك بالليل فتجتمع بضدك ، سيكون وطنك وسكنك ، تألفه وتأمن له ، تنساب بين جماله وسحره .

سيكون مع الزمن حليفًا ، وستُهدَم على أجزاء ، يمحوك ذرة ذرة ، ويمر الوقت وتنظر إلى نفسك وأنت تهلك ، ستعلم مكره متأخرًا ، ستستلم لهذا الموت البطيء ، لم تخض حربًا وها أنت اليوم هباء .

ولعل الأسوء قد يحدث ولم يحسب له حساب ، منذر لم يقف متفرجًا ، فقد نسف كل شيء ، دخل علينا المكتب وكانت سمر موجودة وقال :

- تصورت كل شيء إلا أن تأتي الطعنات من أقرب شخصين لي بالكون، ماذا فعلت لكم لأستحق هذا أجيبوني ، أنتم أقذر من أن أندم عليكم ولكن قبل أن أذهب لأقول شيئًا لك يا سمر ، أنتِ لعبة بالنسبة له ، أنه على علاقة بفتاة

أخرى منذ زمن طويل واسمها نور ويمكنك أن تتأكدي من ذلك ، هل ستنكر ذلك يا خالد ؟

- لم يكن بوسعي أن أكون هجوميًا، أو أرد عليه بأفعاله بالعالم الآخر ، لقد كان على حق ، وصوت الحق لا يعلو عليه شيء اطلاقًا ،هززت برأسي نعم أنا على علاقة بفتاة أخرى اسمها نور وأنا أحبها بحجم الكون أيضًا ، كنت متبلدًا لا أحمل أي مشاعر ، لقد غرست للتو خنجرًا داخل القلب الذي استملته وزرعت فيه بذرة حب تحتويني .

- سمر : يا لك من مخادع قذر ، لماذا فعلت هذا بي ، أنك مريض تعس. وخرجت قبل الجميع والدموع تبلل وجهها ، أما منذر ظل واقفا أمامي مبتسمًا وقال : هل تظن لأنك تملك المال ستملك كل شيء ، لطالما كنت ترى نفسك بعلو.

من أين لك هذا الغرور ؟ ليس لك سوى الأماني وسيل من الذكريات ، باتت منفاك بعد أن استعصى عليك واقعك ، تخادع نفسك لا أكثر ، فاليوم منقوص من غدك ، ليس لك بالغد ذكرى ، زمن فارغ يمضي بك ، كفاك ، اطفىء سيجارة وهمك فدخانها قد أعماك ، انظر وأخبرني ماذا ترى ؟ أم أن عينيك اعتادت الرؤية من داخل عقلك ، ماذا دهاك؟ كنت شجاعا لا شبحًا خلف ستارة ، كنت جبلًا من ثقة لا صنمًا من غرور ، كنت أمانًا ، كنت سلامًا ، كنت وكنت ... ازرع حلمًا بأرض الواقع وأزهر ثمرة كانت فكرة ، اجمع نفسك وأعد الكرة

سينبض يومك ، سيعود النهر إلى الجريان .

- لا ليس كذلك ، هذا لم يحدث يومًا

- ربما كان يحدث داخلك ، وكنت تظهر غير ذلك ، اسمع: سأجعلك تحترق كحال احتراقي ولكني على حق وأنت على باطل ، وقبل أن أغادر أردت قول شيء لنور فهي تسمعنا الآن على الهاتف ، أرجو أن تكوني قد سمعت كل شيء يا نور .

أغلق الخط وهو ينظر بعيني مبتسمًا وغادر ، يعلم الله كان بيني وبين قتله لحظة ، لم أفكر بشيء الآن سوى نور وقتل هذا المعتوه الذي أحرق حياتي بلحظة .

خرجت مسرعًا أريد أن أبرر لنور مهما كلف الأمر ، حتى لو أخبرتها بحقيقة الأمر، وما حدث لي بالكامل ، لن أحتمل خسارة نور ، إنها أغلى شيء أملكه .

مات الكلام واحترقت الأماني ، غادرتني وأخذت معها ما تبقى من شتات نفسي ، تحجرت الحكايات بجميع مفرداتها داخلي ، أيقنت أنها رحلت وقد ألقت بكل ما يجمعنا خلفها ، لم أعد بطلها ، لم ولن تشفق ، هي لن تعود ، لن تنكسر ، شموخها وكبرياؤها

الطاغي حتى بأقسى لحظات الفراق .

قلت لها لم أقصد أن أكسر قلبك .

قالت : قلبي لا يُكسر .

قلت : إن الخطأ قد كان ، فامنحيني فرصة أخرى .

قالت بابتسامة نصر : إن الأوطان لا تسامح من خان .

قلت وقد ذبل كبريائي : نعم أنت موطني فأين المفر ؟

قالت : ابحث عن وكر ، فمثلك ليس لهم أوطان .

لم أكن يومًا بذلك الاستسلام ، لحظات ظننت أنني مسلوب الكرامة ،ولكن الحق أنني جبان ، خسرت الحرب وبعت بأبخس الأثمان ، كانت أملي ، حلمي ، ملاذي وجنتي ، هي الروح ، هي الألحان .

فقلت مهلًا : إن الزمن يمحو ويرسم ، اتركي لي خيطًا أنسج به حلمًا للعودة.

قالت : إن حلمك من ورق، وداخل زمانك قد احترق .

صمتُّ كثيرًا لم أنطق ، ملأتها السعادة وهي تراني أحترق ، رحلت مولاتي وشتاتي ، قاتلتي وملاكي .

هذا ما جنته يداي ، سعيت إلى الانتقام فكنت أنا الضحية

، هو الندم لا شيء يحرقني الآن أكثر من هذا الشعور البغيض ، أعلم أن لا طائل منه ولكنه يتملكني بطريقة قاتلة ، لو أنني تركت كل شيء على حاله ، لا أريد انتقامًا ، لا أريد سوى نور .

لا أستوعب أني فقدتها وتركت لها جرحًا لا يبرأ ، لا أظنها تغفر لي مهما حدث .

كانت هذه أسوأ سقطاتي ، كنت عاجزًا عن فعل أي شيء ، نار الانتقام قد أحرقتني أنا ، انتقلت من شتات إلى شتات ، شعوري لا يوصف بكلمات ، أختنق بكل لحظة ألف مرة ، ما أقسى شعور الندم ، عدت إلى البيت محملًا بالهزائم والانكسارات .

العالم الأصلي :

مر وقت منذ انفصالي عن نور بالعالم الآخر ، وكحالي هناك كنت هنا ، لا شيء في الكون يحمل همي وليس لي مخرج من كل ذلك ولكي يكتمل عذابي بالعالمين قابلت نورًا اليوم ، كانت تختنق بكلماتها التي لا تخرج بعد أن مر وقت جميل خلال الشهر الفائت ، استطعنا كسر كل الحواجز وكنت ألمح لها بإمكانية ارتباطنا وكانت سعيدة بذلك ، ولكن دون عذر أو سابق إنذار تقول لي أنها

يجب أن تبتعد ، شيء ما داخلها تجاهي قد حدث .

كانت تتحدث بارتباك يعلوه الجمود .

- أعلم أن علاقتنا جيدة وأنني أحمل لك مشاعر صادقة ، ولكني أخوض بمجهول قد منعته عن نفسي منذ زمن ، كنت قد أخذت عهدًا أن لا أدخل بأية علاقة عاطفية إطلاقًا ، ويبدو أنني خلال الفترة الفائتة فقد نقضت عهودي ، حاولت أن أغمض عيني وأمضي طريقي معك ، ولكن لا أعلم لماذا وكيف ؟ لقد تبدد كل ذلك ، كما أنني قد أزحت الستارة عن عيني ، أرجوك أن تتفهم قراري ، فأنا جازمة أن أنهي هذا الأمر ، وأن ينتهي الآن خير من أن ينتهي بالمستقبل بألمٍ أكبر .

- لا أستوعب أسبابك مطلقًا ، وإن كنت تريدين بعض الوقت لتعيدي النظر بعلاقتنا فأنا أتقبل ذلك ، ولكن لا أريد أن تحسمي أمرك بتسرع الآن .

- لا لا أنت لا تفهمني ، ليس تسرعًا ، إنما التسرع قد كان عندما بدأت العلاقة ، أنا آسفة على قولي هذا ، ولكن هذه هي الحقيقة .

- لك ما تريدين ، وتأكدي أن مكانك سيبقى شاغرًا بقلبي ، وأنني سأنتظرك مهما طال الزمن .

- لا أريدك أن تنتظرني ، امضِ بحياتك يا خالد ، لقد كُتِبت لك حياة من بعد موت محسوم ، لا تنتظر أحدًا ، هذه نصيحة .
- هذا قراري وهو ملكي ، وليس قرارك .
- غادرتها وبقي قلبي معلقًا بصحبتها.

لا يموت الحب فينا ولكنه يدفن حيًا تحت أنقاض الزمن داخلنا ، يبقى نبضه حبيس أرواحنا المتهالكة ، بين وقت وآخر نحس بوخز الذكريات فيعلو النبض قليلًا ، نغمض أعيننا ونكمل الطريق التي اخترناها أو بالأحرى التي وُجدنا بها ، بلا طعم أو عنوان أو هدف .

نحاول أن نجد لأنفسنا آلاف المبررات لكي نكمل هذا الطريق ، لقد خسرنا كثيرًا به ، والحقيقة أننا لم نكسب شيئًا سوى البؤس وكأن هذا الخسران هو كنزنا الوحيد الذي لا نريد فقدانه .

كان الأجدر بنا أن نوقف هذا الخسران ونطوي هذه الطريق ونبدأ من جديد فليس هناك ما نخسره سوى صندوق الانتكاسات وتلك الخسارات ، ولكن البداية الجديدة تحتاج إلى الشجاعة والثقة وهذه الأشياء قد غادرتنا منذ زمن بعيد .

أيعقل أن ما حدث بالعالم الآخر قد انتقل إليها بهذه السرعة ، لم يكن لدي تفسير، ولكن الأكيد أن للعالم الآخر تأثيرًا على هذا

العالم ، وحال نور أكبر دليل ، إن هذا كلعبة قمار ، إما أن أفوز بكل شيء أو لا شيء ، إما أن تكون نور لي بالعالمين، أو سنفترق بكل عوالم الكون .

على وقع الحنين وصوت الوتر تراقصت ألحان حكايتنا ، انساب الشوق وعاد الزمان ليرسم لي جمال البداية ، وجميل أنه غض الطرف عن النهاية ، يريد أن يحملني إلى سحاب الذكريات لأشهد جمال المطر ،أناظر وجهك وأسمع همسك أغنيةً ، ألمس كفك وأزرع قبلة ، اغمض عيني لأحبس هذه اللحظة ، فتصحو النهاية لتهدم شوقي وتحرق الصور ، هي من رحلت هي من نسيت ، قالت وداعا دون نزاع ، دعنا نفترق ونترك أثرًا يروى ، دون خلاف دون اكتمال ، هكذا أجمل ، فالعشق آخره حرب وخراب ، أحبك جدًا ولكن أريد لهذا الحب أن يبقى داخلنا صورا وجملًا ، سأذكرك كحلم كأمل ، سأزورك نسمة صيف ، وشمس شتاء ، ليتنا افترقنا على وجع وألم ، ليتنا لم يبق بيننا أمل ، ليتك طيف أليم ، استوطنت قلبي فليس لغيرك مكان وقلبي فارغ بك ، ما أقساك مولاتي .

ومضت أيام وأسابيع متشابهة، بطعم المرار الذي يغلفها كنت محبطا متكسرا ، لا أخرج من غرفتي ، منعزلا بقفص عقلي المتهالك ، كانت كلمات سراب عن حال أمها وحالة الجنون التي أصابتها تراودني ، بدأت أنقاد لفكرة الجنون أكثر فأكثر .

ولا أظن الجنون بالأمر السيء ، فالمجانين أشخاص قد أرهقهم

الانصياع لضوابط الواقع المجحفة، فهربوا إلى أنفسهم، أو إلى مكان آخر داخل عقولهم ، هم مفكرون لا مجانين .

أما أنا فقد هربت إلى نفسي، ولم أجد سوى حطاما وركاما، أقاتل أشباح أفكاري وأنتظر نصرًا على عدم ، والمحزن أني أنتظر الخلاص لنفسي على يد العدم أيضا ، قد يكون هذا هو الاستسلام ، الوقت الذي تضع فيه سيف الحقيقة جانبا وتحمل سيف الخيال والسراب ، يكون هو وقت استسلامك ، ولكن مسوغات النفس لا تشعرك بذلك، أو بمعنى أدق: تزين لك هذا الاستسلام ، لتجد نفسك داخل نفق مظلم كلما حاولت أن تخرج منه، أو مجرد التفكير بالخروج ستخاف الضوء بالخارج ، فتعود الى أمانك داخل هذا النفق ، تبقى سجين وسجان نفسك ، ستجد ألف مبرر وسبب لعدم خروجك ، وترسم الطريق والوقت الذي يمكن أن تخرج فيه ، بالتأكيد هو رسم بالخيال لأن هذا الوقت لن يأتي ، حتى تحين اللحظة التي تخرجك عنوة او انتفاضة روح أو إشفاقة قدر ، عندها ستدرك أن هذا النفق قد كان سجنك ومنفاك وموتك .

أما أنا قد كنت على دراية بذلك، وقد تكون تلك المعرفة من مسوغات النفس أيضًا ، ولكن لم أعد أجد الطريق أو أن العيش خارج هذا النفق يؤلمني ويعذبني ، مع كل يوم يجلدني هذا الضوء الساطع بالخارج ، وما يؤلمني أكثر أني حاولت أن أنجو بما أوتيت

من قوة ولكني فشلت ، ربما ليس لي ذنب بكل ما حصل لي ولكن قوانين الحياة لا تعترف بالأسباب ، هي مرآة للنتائج ، هي دار عمل وصورة لا دار قضاء وعدل .

والمضحك بالأمر هو سذاجة النفس البشرية ، فإن هذا الضوء خارج النفق هو مسرح أحلامك ومغذي أفكارك ، فكل تصور جميل ترسمه يكون بالخارج وبنفس الوقت هو تهديد طمأنينتك والشيء الذي ترهب به نفسك لتبقى حبيس هذا الظلام .

بت أدرك أن الاستسلام هو انفصال عن العقل الباطن ، وامتلاك العقل الواعي زمام الحكم على النفس ، هروب من ماهية النفس التي تأبى الانقياد ، هو الظلام المتكون بفعل الغيم والخوف أن لا يهطل المطر أبدًا وقد يكون ظاهرة استكانة وأمان ولكنه سم يقتل البرعم ويحرق الأغصان .

وأنا متعب أقسم أني متعب جدًا ، سئمت كل شيء ، لا أريد سوى أن أحيا ، لا أريد شيئًا سوى طبيعتي التي فطرت عليها ، أريد أن أكون كما كنت ، لا أحلم بالمستحيلات ، ولم أفكر بالمحال ، كل أحلامي هي أبسط مكونات الحياة لأي شخص يعيش على هذه الأرض .

لـم أكـن أتقـن الرسـم أبـدًا، ولكـن هـذه الرسـومات علـى الحائـط مفهومـة وواضحـة ، تمثـل حالـي بيـن عالميـن يحترقـان بـي، وأحتـرق بهـم، يربـط بينهـم جسـر معلـق آيـلٌ للسـقوط، وأنـا أقـف بالمنتصـف ، ولعلـي لا أعلـم إن كنـت أريـد لهـذا الجسـر أن ينقطـع، ولكنـي كنـت أريـد أن أجـد السـلام بالعالميـن ، وإن سـاءت الأمـور فعلـى الأقـل عالـم واحـد سـالم ولينقطـع وصـل العالـم الآخـر ولكنـي أخشـى علـى نفسـي بذلـك العالـم ، سـأكون وحيـدًا بدونـي .

لا أعلـم إن كنـت أشـعر بالخـوف أم لا ، علّـه الخـوف مـن اللاشـيء ، فهنـاك أغـلال تشـدني وتكبلنـي تأخذنـي بمتاهـات العـدم ، لا الأمـل ينجينـي ولا اليـأس مـلاذي ، وأخطـر سـموم الـروح أن يجتمـع الأمـل واليـأس فـي آن واحـد .

أصـارع عـدوًا مـن وهـم وأعيـش بمنفـى أحلامـي وأرسـم صبحًـا لا يأتـي ، أنـا القاتـل والمقتـول ، خلاصـي وعذابـي بيـدي ولكنـي فقـدت مقاليـد قاعتـي وبـت أسـير ظـلام روحـي .

وهـل هنـاك جنـون بالعالـم أكثـر مـن هـذا ، مـن بالعالـم يسـتطيع أن يفسـر مـا أمـر بـه بغيـر الجنـون ، الجيـد بالأمـر أن أبـي لـم يأتِ بطبيـب نفسـي ، بالتأكيـد كان ليأخذنـي للمستشـفى لأعيـش بـه مـا بقـي مـن عمـري البائـس .

وبالعالـم الموازي كان نفس الحـال الجنونـي الـذي أمـر بـه ، غيـر

أنني هنا ولأني أعلم أن أبي لا يعلم شيئًا عن وضعي بالعالم الآخر ، قررت الرحيل والعيش وحدي ، لأنعم بوحدتي دون قلق .

العالم الأصلي :

اليوم جاءت سراب برفقة أبي ، جلست مقابلي بالغرفة ، وكنت أحدق بالمسبحة التي تحملها .

- سمعت من سراب الآخرى أن هذه المسبحة تحمل بكل حجر ماردًا من الجان ،وهذاالحجر الأكبر يحمل ملكًا من الجان ، هل هذا صحيح ؟!
- نعم صحيح ، هي كذلك .
- أذن اجعليهم ينهون هذا البؤس الذي أعيشه ، إني متعب وأريد منهم أن تعود نور لي ، لا حياة لي بدونها ، أرجوك يا سراب .
- ولكننا أقوى من الجن بمردته وملوكه ، نحن من نخضعهم ، إن كنا نحن لا نستطيع فبالتأكيد هم لا يستطيعون ، إن خلاصك بيدك يا خالد ، انزع عن نفسك هذا البؤس، وعد إلى حياتك التي سافرت العوالم لأجلها .
- لقد أرهقتني هذه العوالم ، لم يعد باستطاعتي أكثر .
- سأقول لك شيئًا : لست وحدك من يرى العوالم الآخرى ،

كل البشر يرون ذلك ولكن بصورة أصغر ، إن الأحلام تفعل ذلك ، عندما يرى الشخص منا حلمًا ، فإن هذا حدثا من عالم آخر ، أحيانًا يكون الحلم واقعا ومتناسقا ، غالبًا يكون هذا من عالم آخر واحد ، وعندما يكون الحلم غير مترابط به أحداث مشوشة ،ومختلفة فهذا يكون خليطًا من عوالم مختلفة ، ربما نحن نعيش بعدد غير منتهٍ من العوالم .

- حاول أن تهدأ وتغلق كل ما مضى من صفحات وابدأ من جديد ، وربما نجد حلًا يخرجك من كل هذا ، لعل أباك يخبرنا بشيء يفيدنا ، فهذا الصمت لن يفيد أحدًا ، نظرت إلى أبي وكأنها تتهمه بمعرفة شيء ما ، نظرت إليه متوسلًا دون أن أنطق .

جلس متهالكًا مستسلمًا ، أخذ سيجارة من دخاني ، صمت قليلًا ينظر إلى الأرض بتمعن ، ثم رفع رأسه وقال :

- نعم هناك ما أقوله يا سراب ، هو سر دفين قد مضى عليه زمن، ولا أعلم إن كان مرتبطًا بذلك ، ولكن لكي لا يبقى هذا السر يحرقني سأخبركم به ، لعله بالتأكيد مرتبط بذلك، ولكنني لم أملك الشجاعة لمواجهة نفسي .

- منذ زمن طويل وأنا باحث عن الكنوز ، وذات يوم استطعنا تحديد مكان معبد أثري فقمت بشراء قطعة أرض وأقمت عليها مصنع لأقوم بالعمل بها دون أي مشاكل ، لأن العمل

كان يتطلب معدات ووقتا وجهدا ، كان المعبد عميقًا ، كانت أمك يا سراب من ضمننا ، هي من حددت مكان الحفر ومداخل المكان ، وبعد الكثير من العمل والوقت وصلنا إلى مبتغانا ، وجدنا المعبد متكاملًا بكل ما فيه ، ولكنه كان مختلفًا عن أي معبد آخر ، لم نجد به أي كنوز إطلاقًا ، كان معبد سحرة – هذا ما قالته والدتك يا سراب ، وقالت أنه خطير جدًا .

جدران المعبد كانت مليئة بالطلاسم والرسومات السحرية والتعويذات، وإحداها كانت تعويذة العالم الموازي ، لقد حذرتنا من قراءتها ، إلا أننا أردنا تجربة هذا وهو ضرب من الجنون ، وبنفس الوقت قررت هي أن تقرأها بنفسها وفعلت ذلك، ولم يحدث شيء لها ، فتبعتها أنا بعد أن رأيت أن لا خطر بذلك ، قرأتها وفعلًا لم يحدث شيء إطلاقًا.

وبعد ذلك عدنا باتجاه الباب الذي دخلنا منه، وكنا ما نزال بالداخل ، كان هناك مجسم غُرابين، كل واحد منهم على جهة من الباب ، رؤوسهما متجهة للداخل ، عندما تنظر إليهم يخيل إليك أنهم أحياء ، وعلى الحائط المجاور كان هناك مجموعة كبيرة من الكتيبات الصغيرة ، حملت واحدًا من الكتب أتفحصه، وقد كان خاليًا من أية كتابة داخله ، أما أمك يا سراب فقد خرجت من الباب باتجاه

الخارج ومع أول خطوة لها خارج المكان بدأ كل شيء يتزلزل وكأن زلزالًا قد ضرب المكان ، فخرجنا جميعا هاربين ، لقد بدأ ينهدم المكان ، وكنا نركض بلا وعي حتى وجدنا أنفسنا داخل سرداب طويل ، فقد ركضنا حتى أنهكنا التعب ، ولم نجد المخرج ، رغم أن دخولنا لم يكن بهذه المسافة البعيدة ، استنتجنا أننا خرجنا من باب مشابه للذي دخلنا منه وليس هو نفسه ، مضت ساعات من المسير ، بدأ اليأس يسيطر علينا بأننا لن نخرج من هنا مطلقًا ، ولكن كان لنا أنفاس نأخذها بهذه الحياة ، بالنهاية وجدنا المخرج وكان بنقطة بعيدة جدًا عن المكان الذي دخلنا فيه ، وادٍ يبعد بضع كيلومترات عن مكاننا لأصلي ، لقد كان هذا السرداب يعبر جبلين تقريبا .

عندما عدنا إلى المكان الذي دخلنا فيه ، كان المكان منهارًا بشكل كامل ، بالفعل كأن زلزالًا عنيفًا قد ضرب المكان ، هذا ما حدث بالضبط ، بعد هذه الحادثة توقفنا جميعنا عن أعمالنا ، كان الأمر مخيفًا جدًا ، بقي معي الكتاب الفارغ يمكنني أن أريكم إياه .

ولكن كما قلت لكم لقد قرأت التعويذة أنا وأمك يا سراب ، ولم يحدث أي شيء لأحد منا ، حتى أني تحدثت معها بعد بضعة أسابيع وقالت أن شيئًا لم يحدث وكذلك أنا .

سراب : وقد يكون هذا الأمر حدث لأمي ولكنها لم تخبرك ولم تخبرنا أيضًا بذلك ، وما يؤكد ذلك أنها وحسب قولي بالعلم الآخر

أنها حدث لها ذلك، ولكن السؤال إن كان ذلك قد حدث لأمي فلماذا لم يحدث لك بل وقع على ابنك خالد ، لو سمحت أرنا الكتاب علّنا نجد شيئًا .

خرج أبي ليحضر الكتاب عل عجل .

أبي وأريد من أمي أن تحضر لي فنجان قهوة لو سمحت .

عدلت جلستي وبدأ الأمل يتولد من جديد ، يتسارع بالنمو داخلي ، يرسم لي ضوءً بآخر هذا الممر المظلم ، عاد أبي وهو يحمل الكتاب بيده ، ووضعه بيد سراب التي أخذت تتفحصه بتمعن .

- نعم إنه فارغ ، لا يحتوي أي كتابات ، ربما كتب بحبر سريّ ، أو بخدعة سحرية ما ، أو أنه مجرد كتاب فارغ لم يستعملوه أصلًا.
- أبي : لقد جربت كل الطرق ولكن لم أصل لشيء ، أنه فارغ .
- هل لي أن أراه .
- نعم بالطبع ، تفضل .
- كان كتابًا صغيرًا ، أوراقه سميكة ، وقد رسم على غلافه غرابًا بنقشٍ يتراءى لك أنه بارز للخارج ، فتحت أول صفحاته وكنت أرى رموزًا وكتاباتٍ، ولكن بلغة غريبة ، لقد رأيت الكتابات على كل صفحاته ، كان مليئًا بالكتابات والرسوم ، لماذا رأيته أنا ولم يستطيعون هم رؤيته؟ هل هم يخدعونني

لسبب ما ؟ أم أني قد تخيلت هذه الكتابات؟ لا لا أني أراها بوضوح ، أأقول لهم أني أراها أم أكتم هذا عنهم؟!! وماذا سأستفيد إن فعلت ذلك حتى أنني لا أستطيع قراءتها .

- إنني أرى الكتابة بشكل واضح ، ولكنها بلغة غريبة .

- نظروا إلى بعضهم باستغراب ، ثم تكلم أبي هل حقًا تراها أم أنك تتوهم يا بني .

- سراب : هذا يفسر لنا ما يحدث ، إن هذا الكتاب سحري، ولا أستغرب ذلك فإنني أظن أنكم ولجتم إلى معبد ملوك السحرة ، ولكن كيف ستستطيع قراءته ، وربما هذا يحمل خطرًا كبيرًا ، ربما يحتوي تعويذةً أكبر وأشد.

كانت خائفة ، لأول مرة أرى الخوف بعينيها اللامعة ، لقد بدأت مسبحتها تصدر أصواتًا من جراء اصطدام أحجارها ببعض ، كانت تقلبها بين يديها ، ليس أمرًا سحريًا ما تفعله بالمسبحة ، لقد كانت مرتبكةً فقط .

- سراب : لطالما أردت معرفة سبب وطريقة انتقالك وإشعال بخورك بالعالم الآخر ، أما الآن فأنا لا أريد ذلك ، يبدو أن الأمر أكبر منا جميعًا ، يجب أن نتوقف ونترك كل شيء على حاله ، قد نندم على أي عمل نقوم به .

- على عكس خوفهم كانت طمأنينتي ، ليس هناك ما أخشاه

، قبل قليل كنت أصارع الجنون وعلى أعتاب الموت البطيء ، لن يضيرني شيء بالمحاولة ، كما أنني اعتدت جنون السحر ، فليس هناك أصعب من الانتقال بين عوالم مختلفة ، قد أكون أنا وبضعة أشخاص فقط من قام بذلك منذ الأزل ، كانت السعادة تداعب روحي المتعبة .

- أخذت القلم ورسمت بعض الرموز من داخل الكتاب ونقلته كما هو إلى الحائط ليروه جميعهم ، سألت أبي : هل هذا حرف ام كلمة أم رمز ، ماذا يعني هذا ؟؟
- إنها كتوب بلغة السحرة القديمة ، توقف يا خالد لا تكتب المزيد ، لا نريد أن تكون هذه تعويذة .
- سراب : نعم توقف ، إن تكن تعويذة فإن جزءا منها قد يكون خطرًا.

منذ هذا اليوم كان لدي مخطط لما سأفعله، وإلى أين وجهتي ، وكيف سيكون خلاصي ، طلبت من أبي أن يعلمني هذه اللغة ، وأن يريني المكان الذي حدث الأمر فيه معهم ، وهذا ما كان ، مرت شهور من التعلم المتواصل حتى أجدت هذه اللغة ، وقال أبي أيضًا باصطحابي إلى ذلك المكان ، وكما قال أبي تمامًا كان الدمار واضحًا ، كان المكان قد خسف بعمق كبير ، وأما مخرجهم فقد كان لا يزال موجودًا .

بالعالم الموازي ، قد تعلمت الدرس مما سبق ، لم أحاول تغيير شيء ، لم أسأل أبي حتى إن كان يعرف هذه اللغة « لغة السحرة « وهي عبارة عن كلمات بدون حروف ، كل رمز يدل على كلمة ، كان عليّ حفظ مفردات هذه اللغة ، كان الأمر شاقًا ولكنه ليس بمستحيل ، ولم أسأله حتى عن الأرض التي تحوي ذلك المكان ، عدت إلى البيت واعتذرت منهم لخروجي هذه المرة ، أردت أن يعود كل شيء كما كان .

وذهبت إلى تلك الأرض ولم يكن قد حدث لها شيء ، كانت سليمة ، ورأيت المخرج من الوادي وقد كان سليمًا كذلك ، إن كل شيء يسير كما أريد بالضبط ، يبدو أن الأقدار قد عادت إلى صفي ولو مؤقتًا ، لم أكن بحاجة لأكثرمن ذلك .

لم أكن عجولًا إطلاقًا ، أردت أن يتم الأمر بروية وحذر، ودون أخطاء ، ليس خوفًا من العواقب ولكن أملًا بنصر يكون شرارة لحياة جديدة وولادة جديدة ، فما زلت متمسكًا بذاك الأمل فهو قبطان سفينة شراعها الخيال والاجتهاد هو من يمسك مجدافها لتبحر في مياه الواقع ، وهو رفيق الحالمين وضوء مصباح المسافرين أو ربما يكون سراب التائهين ، نتاج العقل الباطن والواعي معًا ، قد يعقب الأمل يأس أو قد يسبقه ولكنهما لا يجتمعان ، سمو من الأمل أو غطرسة اليأس .

والأمل انتصار على مثبطات النفس ، سهم بصدر الفشل والاستسلام ، انحسارٌ للعاصفة وبزوغٌ للشمس ، والمخيف أنه متجدد لا ينضب ولا يكل ، لا يزول سوى بهجران الروح للجسد ، وهذا مؤلم للأشقياء الذين كُسرت صارية سفينتهم ومجدافها ، إنهم ينتظرون رحمة الموج المتعالي .

لبعض الوقت كنت أفكر بأن أُطلع نورا على الأمر ، بل وأجعلها تشهد كل ذلك بعينها لتصدقني ، ولكني تراجعت بالطبع سأكون أنانيًا إن فعلت ذلك ، لن أقحمها بهذا الأمر ، وإن كان لنا بقية سويًا سيلتف هذا الكون بأكمله ليجمعنا ، أو علني أردت النجاة فقط .

مجموعة من الاختيارات تقودني حينا وأقودها أحيانا ، وأظن أني أقودها عندما يكون الطريق فرعيًا فقط لأعود للطريق الرئيس الذي تقودني فيه .

ربما عرفت هذه الحقيقة بعد زمن من الصراعات والتعب ، أو أنني قررت أن أقنع نفسي بذلك ، أظنه أسهل لأبرر لنفسي هزائمي المتتالية ، أذكر أن قناعاتي وكبريائي منعاني من التسليم بذلك، ولكني كنت دوما أتساءل ماذا لو أنني خرجت عن الطريق ؟ نعم ربما سأتيه قليلًا أو أهيم على وجهي

ولكني قد أستطيع أن أرسم الغد بكامل إرادتي ، وهنا يأتي تساؤلي الأكبر بعد هذا التوهان والخروج هل سأعود لأكمل الطريق الرئيس لأسلك نفس ما رُسِم لي؟ أم أني سأجد نفسي بدرب آخر مختلف يكون لي بالكامل ؟ أم أعود إلى نقطتي الأصعب وتكون كل الطرق هي من صنعي أنا؟ وأنا من قدت وسأقود نفسي وأن هذه الطريق الرئيسة والفرعية كانت ملكي أنا منذ البداية ، ولأنني باحث عن السعادة سأختار أن أجرب التيه ، سأخرج عن كل الطرق علّني أجد ضالتي ، فليس هناك ما أخشاه .

كنت مستقرًا هادئًا ، أرى نفسي كأني عدت إلى ما قبل كل هذا ، لم يكن أمر العالمين يقلقني ،ذلك بثقتي التامة بأنني سأنهي هذا الأمر وأن الفرج قريب ، أو أنني قد اعتدت ذلك ورضيت روحي بهذا ، فشعور الرضا كالمخدر لمغريات ومحفزات النفس .

حزمت أمري وأكملت جميع تجهيزاتي ، تبقّى علي الوداع فقط ، ودعت أبي وأمي وكأني لن أراهما قط ، ثم ذهبت إلى سراب ، شربت عندها الشاي الذي أحب، وتحدثت معها بكل شيء باستثناء وجهتي أو نيتي بما سأفعله ، كنت أعيش لحظات الطمأنينة كأنه الموت القريب من ناسك متعبد لله ، لكن لم أستطع إقناع نفسي بالاعتذار من سمر ومنذر ، فتخطيت الأمر ، وبقي لدي نور لم

أقابلها ولكني كتبت لها رسالة :

« لأول مرة لن أخاطبك بلفظ حبيبتي ، فأعلم أني لم أعد حبيبك ، وأنا متأكد أنك تعلمين مقدار حبي لك ، لم أبتعد لأني استسلمت ، ولكني ابتعدت لكي أحترق وحيدًا دون أن تمسك ناري ، دائمًا هنالك أمور لا تفسير لها ، أعلم أن العادة قد جرت عكس ذلك ، فلكل شيء تفسير ، إن ما حدث له تفسير ولكن سببه ليس له تفسير منطقي لكي أقنعك به ، ربما باستطاعتي أن أفعل ذلك ، ولكن هذا سيعرضك للخطر ، لم أكن أنوي أن أعيد نبش الماضي داخلك، إن كنت قد أصبحت ماضيًا ، ولكن كان عليّ أن أقدم طلب غفران وسماح ، ولا أطلبه طامعًا في عودة، فهذا أبعد من الخيال عندي ، ولكن لتهدأ روحي وإن كنت بعيدًا ، أحبك وكفى «

كانت رسالتي تحمل غموضًا أكبر من الغموض الذي تحويه حكايتي لو أنني أخبرتها بها ، لكن هذا ما استطعت كتابته ، أردت أن تسامحني وتغفرلي ، أردت ذلك بشدة ، ولا أخفي على نفسي أني كنت أطمع أن يكون لنا لقاء ولو كان عابرا، وأرى السماح بعينيها ، قد يكون الغفران مستحيلا ولكن السماح ممكن .

توجهت إلى معبد السحرة لأنهي الأمر بأي ثمن أو طريقة ، كنت متأكدًا أنني سأجد الحل هناك ، منذ شهور قد قررت ذلك ، لم أحس بهذا الارتباك والخوف سوى الآن أثناء ذهابي إليه ، عند

وصولي للمكان الذي سأدخل منه ، بدأت بالتفكير مليًا بالرجوع عن الأمر ، كنت أجد ألف سبب لذلك ، لقد استقر وضعي، لم يعد يتعبني هذا الوصل بين العالمين ، فلماذا أرمي بنفسي بهذا الخطر ، ولكن ذاك الأمل الصغير الذي كان يدفعني للاستمرار قد انتصر ، ودخلت من المكان الذي خرجوا منه سابقًا ، مع المسير أكثر كانت دقات قلبي تتعالى أكثر وأكثر ، غصت بالظلام وأدركت أنني بطريق قد لا اعود منه مطلقًا ، والغريب بالأمر كلما زاد تسليمي بالأمر زادت طمأنينتي ، بعد وقت من المسير داخل هذا الممر الطويل كنت لا أخشى شيئًا ، متبلداً من المشاعر ، كنت استند على الموت وأتكئ على الخطر .

وصلت إلى المعبد بعد بضع ساعات من المسير ، دخلت من الباب ، المعبد منحوت بالكامل من الصخر ، معظم الجدران مليئة بالكتابات والرسومات ، لقد كان مخيفًا ومهيبًا ، للحظة تشعر أن هذه الحجارة ستنطق .

يتوسط المعبد جدارٌ ضخم ، وكان عنوان هذا الجدار الوصايا ، بدأت اقرأها بتمعن علّني أجد ضالتي ، كانت خمس عشرة وصية :

- الحقيقة هي وهم العقل بقبول الواقع ، اخرج من عباءة عقلك .
- لا تصدق شيئًا ولا تكذب شيئًا حتى تختبره بنفسك ، لكل منا كونه الخاص .

- الثقة مصيدة النفس وطريق الهلاك ، كن للشك سيدًا .
- الوقت مجاز يتسع إلى مالانهاية ويضيق حد التوقف .
- العلم بحر ليس له مستقر ، خذ ما استطعت ولا تكتفِ.
- الخوف سياج الروح والنفس فلا تفقده .
- الخوض بماهية الروح سخفٌ بالعقل .
- لا تبحر دون خريطة؛ المركب لا يساق بالنوايا.
- الحب تسليم للقلب ، هذه خطيئةٌ وطعنةٌ للنفس ، إياك .
- العلم أصل السحر ، والسحر أسمى العلوم ، كن عالمًا.
- ليس لك ما تستند عليه سوى الفراغ الذي يحويك .
- اليقين مفتاحٌ لكل باب ، اجعل اليقين زادك .
- الوطن حيث تجد الروح مسكنها .
- لا تأخذ النصيحة ، بل اصنعها لنفسك.
- كل ما يدركه العقل جائز الحدوث .

بدأت أتفحص المكان بحذر شديد ، كانت التعويذات موزعة على جدران المعبد منحوتة بالصخر الصلب ، كان بحثي عن الشيء الذي ينهي هذه التعويذة ، لا أعلم هل هو كتاب أو طلاسم أو تعويذة

أخرى ، ووجدت الغرفة التي تحتوي على التعويذة التي قرأها أبي ، لم اقرأها طبعا ولكن كحل أخير كنت سأقرأها إن لم أجد شيئا ، فلعل إعادة قراءتها تنهيها .

جلست لأستريح للحظات ، أخرجت سيجارة من جيبي وأشعلتها ، كان الهدوء يعم المكان لحد مزعج، لدرجة أنك تسمع صوت السيجارة وهي تحترق ، أخفضت رأسي للأرض أفكر بالمكان الذي وصلت له ، وكل ما حدث ، رفعت رأسي لأرى أشخاصًا يقتربون ، قفزت من مكاني من هول المفاجأة ، لم تحملني قدماي على النهوض ، رباه ساعدني .

كان الظلام يخفي ملامحهم ، فليس هناك ضوء سوى مصباح صغير كان بيدي، ووقع على الأرض يتأرجح يمينًا ويسارًا ، وقفوا عند الباب ، وكان هناك ضوء قادم من خلفهم ، بضع ثوانٍ حتى وصل الضوء لينير المكان ، كانت سراب من تحمل الضوء ، كنت أحترق خوفًا حرفيًا بالكاد أستطيع التنفس ، وقلبي يدق بسرعة ثم أظنه قد توقف تمامًا ، والعجب العجاب أن سراب التي رأيتها تحمل مصباحًا هي سراب بالعالم الأصلي وتقف إلى جنبها سراب الأخرى ، سراب من العالم الموازي ، كان برفقتها السرمدي والمعلم وقد كانوا على نسختين أيضًا .

كانوا ينظرون إلي ويبتسمون لدرجة الضحك المبطن ، لم أجد تفسيرًا سوى أنني أتخيل أو أن هذا سحر من نوع ما .

شق صوت سراب هذا الصمت المطبق والمخيف ، إن كنت خائفًا مرعوبًا لهذا الحد فما الذي جاء بك إلى هنا ؟ كان يجب عليك التوقف .

- هل هذا حقيقة ، هل أنتم حقيقيون ؟؟!

- نعم ، نعم حقيقيون ، ألا تراني أمامك ، ماذا جاء بك إلى هنا وما الذي تريده ؟

بدأت أستجمع قواي شيئًا فشيئًا .

- تعلمين لماذا أنا هنا ، أريد أن أنهي عذابي ، تعلمين ذلك ، ولكن لماذا أنتم هنا ؟ وكيف استطعتم ذلك ؟ كيف انتقل جسدكم من عالم لآخر ؟!

- إن هذا بفضلك وفضل والدك ، لم نكن نعرف هذا المكان من قبل ، ولكن بعد أن ذهبنا برفقة والدك وأرانا المكان استطعنا الوصول ، ما كنا لنصل لولاكم ، منذ البداية عرفت بأن سرًا كبيرًا قد أدى بك إلى كل هذا ، صبرت كثيرًا لأعرف هذا السر ، إن هذا المكان هو إرثنا من أجدادنا السحرة ، لقد دمروا المعبد بالعالم الأصلي بسبب غباء والدك وأمي ، ولكن لن

يحدث ذلك هنا ، إنه كنزنا وإرثنا .

- يوجد به أسرار وتعويذات تفعل المستحيل ، كانتقالنا إلى هنا ، لقد اجتمعت بنفسي ، هل تصدق ذلك ؟ ولكن أظن أن رحلتك قد انتهت هنا يا خالد ، لعلك تكون قربانًا جيدًا لمعبدنا .

لا أعلم سبب ضحكتي هذه ، ولكني ضحكت بصوت عالٍ ، وقفت وكأني أملك هذا المكان وسيده.

- وهل تظنين أني صبرت كل هذا الوقت وجئت إلى هنا اليوم بلا سلاح يحميني ، هذا المكان لي بكل ما فيه ، بكلماته لي ، بروح سحره لي ، أخذت المصباح وكنت أشير بالمصباح على الجدران وأنا أتحدث ، أبحث عن حل خلال هذه الكلمات ، كان مكتوبا على أكثر من حائط « قبلة الغربان عودة» ، آمنت بأن هذا هو مفتاح إبطال هذه التعويذة ، ولكن كان علي أن أكسب بعض الوقت أكثر .

- سوف يكون لنا حساب بالتأكيد يا سراب ، ولكن قولي لي وأنت وريثة هذا المكان ، لماذا قرأ أبي التعويذة وحدث لي ما حدث وليس له مباشرةً ، ولماذا هُدم المكان بالسابق ؟

- سأقول لك لتأخذ معك كلامي بعد موتك ، عندما قرأ أبوك التعويذة لم يذكر اسمه ، لقد أغفل هذا الشيء ، ولكن وجب ذكر اسمه لتتحقق له ، وإن نص التعويذة يقول : إن لم

يذكر اسمًا بالتعويذة فإنها تختار من تشاء ، وإن اختيارها يكون لأقرب شخص لقارئها ، كما أنه إن لم يذكر اسما ستتحقق بعد مرور مئتين وعشرين قمرًا مكتملًا ، واختارتك التعويذة يا خالد ، يبدو أن أباك يحبك أكثر من نفسه .

كنت أحاورها وأتمشى بينهم أحاول أن أجد شيئًا آخر يكون به خلاصي ، كنت مؤمنًا بالخلاص ، لم أشك ولو لحظة واحدة أني سأموت هناك، أو أنني لن أنجح ، تذكرت وصف أبي للغرابين بجانب الباب ، استمريت بالحديث حتى وصلت الباب ووضعت يدي على الغرابين ، نظرت للأعلى وكان مكتوبا بالسقف «حليف الغربان آمن « ، لم أعرف دلالة ذلك ولكني أظن أن وقوفي هنا أمان .

يبدو أن المعلم أراد أن يريني شيئًا من سحره ، أشار إليّ بالعصا التي يحملها ثم رفع بها إلى أعلى ، جميعهم كانوا مستغربين من أن شيئًا لم يحدث .

ابتسمت بثقة ، يبدو أن وجودي بجانب الغربان آمن .

- لأريكم سحري الآن ، أمسكت برأسيّ الغرابين وجذبتهما للداخل ، فصار منقار الغراب يلامس الآخر .

بتلك اللحظة انتفض جسمي بطريقة مروعة ، رأيت الغرابين يحملاني إلى السماء ويرتفعان دون توقف ، لحظات حتى أفقت ، كان كل شيء على ما هو ، باستثنائهم جميعا قد كانوا مذهولين .

المعلم : توقف الآن ، يمكننا أن نتحدث وننهي الأمر ، لن يؤذي أحدنا الآخر ، هذا وعد ، يمكنك الانضمام إلينا إن أردت ولكن توقف الآن .

السرمدي كان يقول بدون توقف : من هذا ، ما هذا الشيء ؟

أما الغربان فقد كانت أشبه بالحقيقية ، كنت أحس بملمس ريشها تحت يدي ، تذكرت لحظة دخولي المعبد ، كان مكتوبا على الباب من الخارج «خصام الغربان اندثار « وعرفت ما عليّ فعله ، حييت الموت القادم بابتسامة وقلت لهم :

- ليس لكم من الغربان سوى الموت ، وأدرت الغربان للخارج ليعاكس إحداها الآخر ، بدأت التعويذات والرسومات على الجدران تتلاشى ، ضوء يلمع بالمكان ، رأيت الحجارة تساقط فوقهم ، لم يرتجف قلبي ولو للحظة ، كنت أنتظر الموت القادم ، استمر المكان بالانهيار ، لم أحاول الهرب ولم أتزحزح ، شيئًا فشيئًا غطى الغبار المكان، وليس هناك

ضوء، وما زلت على قيد الحياة ، كما بدأت أشعر بأن الحياة تدب بالغربان ، لست أهلوس وليس جنونًا ، فتح بابُ وأطل النور من خلاله ، كان مصدر النور بعيدًا ، ودرج طويل يوصل له ، بضع لحظات أخرى ، رفرفت الغربان بجناحيها مستقبلةً الضوء وطارت إلى الخارج وأنا تبعتها.

خرجت ، نعم خرجت حيًا ، لحظة استقبالي للموت وتسليمي له كانت لحظة ولادتي من جديد ، وقفت مقابل شرفة نور ، كانت تنظر إليّ بابتسامة لا أعلم معناها ، رفعت كتفيها وبسطت كفها كإشارة لي ولا أعلم معناها إلى الآن ، فعلت ذلك ودخلت عن شرفتها وأنا غادرت .

من عتمة الليل خرجت ومن أعتاب حدود المسافة عدت ، قد كان يغريني الغياب ولكني سئمت ، هذا الظلام أوجعني ، ومع مرور الوقت بات يفزعني ، والمسافة طالت والحدود اتسعت ، وهذا الفراغ أرهقني بل كاد يقتلني .

لمحت وجهك يلمع نجمًا ، يناديني يعاتبني يهديني إلى ما غاب عن فكري ، عزفتك لحنًا ورتلت حسنك داخل أبواق الصدى ، فغناكِ كل من شهد الحكاية ، علّها تكون تعويذة سحر فتخرجين لنا شمسًا يبدد هذا الظلام .

وبعد هذا التشتت والضياع أدركت أنك لست في أقاصي المكان

ولم تسكني الظلام بل أنتِ داخلي لم تخرجي أبدًا ، ولذكرى وجهك كل الحكاية .

كان هذا آخر يوم أرى فيه نفسي بالعالم الموازي ، أعيش بسلام الآن برفقة والديّ ، لم أستطع استعادة نور – هي سعيدة بدوني – ولا أعلم حالي وحالها بالعالم الموازي الآن ، ولكنني لن أستسلم حتى لو انتظرتها عمرًا أخر .

لا أحمل ضغينة لأحد ولا أشفق لما حدث لسراب وصحبها داخل المعبد ، كل ما أفعله الآن أني أسير وراء الغربان حيث تأخذني ...